مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

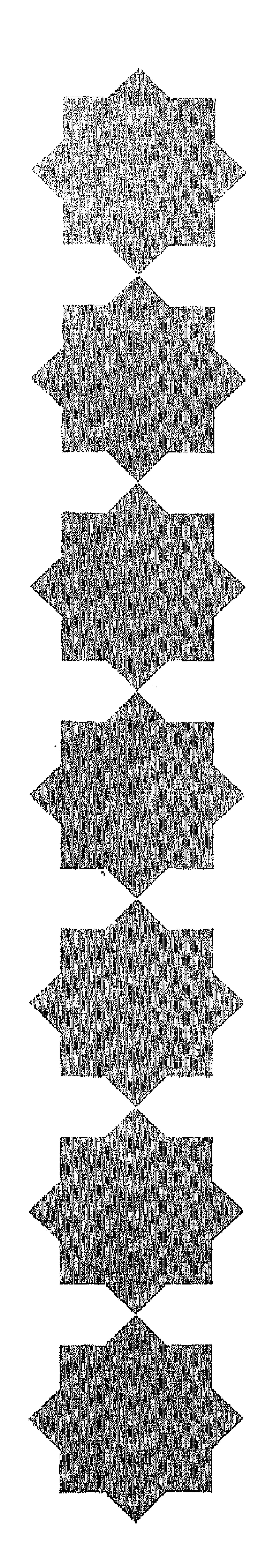
ديوان
الشاعر الأمير
عبدالقادر الجزائري





جمع وتحقيق
الدكتور العربي دحو
راجعه
الدكتور محمد رضوان الداية





مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

ديوان الشاعر الأمير عبد القادر الجزائري

جمع وتحقيق

الدكتور العربي دحو

راجعه

الدكتور محمد رضوان الداية

أشرف على طباعة هذا الكتاب وراجعه الباحث
في الأمانة العامة للمؤسسة إيهاب النجدي

تصميم الغلاف والإخراج الداخلي: محمد العلي

الطباعة والتنفيذ: احمد متولي - احمد جاسم



مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري
تلفون: 2430514 فاكس: 2455039 (00965)
2000

تصدير

الأمير عبدالقادر الجزائري صوت فذ من أصوات العروبة والجهاد في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)، فقد كانت سيرة حياته بخطوطها القريبة والبعيدة ترجمة أمينة لتآلف الوجدان العربي، مشرقه ومغربه، وشوقه للخلاص من سطوة الجهل والخرافة وعبادة الذات القبلية.

والمتأمل في دفتر هذه الحياة يعجب، ويتساءل: كيف حفلت حياة واحدة بما يمكن أن تحفل به حيوات عدة؟ وكيف اتسعت لكل تلك الحوادث المتباينة الشؤون والشجون؟ وكيف نظم في سلك واحد بين الإمارة والفقة والجهاد والشعر والسيف والصوفية؟ والفارس العاشق نفسه أمسك بلحظة من تلك اللحظات المدهشة فقال:

ومن عجب تهاب الأُسْد بطشي
ويمنعني غزالٌ عن مرادي

ولا يعنينا - هنا - أن هذا البيت موصول بالبيت القديم:

نحن قومٌ تذيبنا الأعينُ النجل
على أننا نذيبُ الحديدا

بقدر ما تعنينا دلالته على تلك الشخصية الثرية، التي جمعت في إهابها ألواناً من المكرمات، ومنحت عصرها كثيراً من التجليات.

والصور التي يمكن للإنسان أن يقف أمامها في حياة هذا الأمير المناضل أجلّ من أن تحصيها كلمات عجلى، لكن الوجه الشعري - وهو من أصدق وجوهه - يظل في حاجة إلى التطلع إليه وقراءته والتعاطف معه، ويأتي هذا التحقيق الجديد لديوانه ملبياً لهذه الحاجة، كما يأتي استلهاماً لقيم البطولة والعروبة والتسامح، وتواصلاً للوعي المعرفي بأدوات التحقيق العلمي.

ويضم هذا الديوان - لأول مرة - كل شعر الأمير ، بما في ذلك أشعاره في «المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد» و«المذكرات» رغم ما بدا فيها من ملامح الضعف الفني ، فلم يسقط المحقق منها شيئاً ، التماساً للموضوعية ، وتصديقاً للهدف الأساسي من إعادة طبعه وهو «الجمع والتحقيق» ، لذا نجد - بوضوح - في هذه الطبعة النص على مواضع الاختلاف في الطبعات السابقة ، وشكل الأبيات والالتفات إلى المعاني المقتبسة من القرآن الكريم والموروث الأدبي القديم ، مما أكسب الهوامش لوناً من الجدية في التناول .

لا يتبقى لي - وأنا أقدم هذا الديوان حفياً به ومغتبطاً له - إلا أن أذكر شاكراً جهود إخوة كرام أسهموا جميعاً في إخراج هذا الديوان/ الرمز ، وأخص بالذكر المحقق الدكتور العربي دحو ، والمراجع الأستاذ الدكتور محمد رضوان الداية .

إنها التحية للأمير عبدالقادر الجزائري ، تجددها مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، إذ تصدر ديوانه في دورتها السابعة ، دورة «أبوفراس الحمداني» تلك الدورة المميزة اسماً وزماناً ومكاناً .

وبالله التوفيق ، ،

عبدالعزيز سعود البابطين

أغسطس ٢٠٠٠

****

مقدمة

إن الاهتمام بتراثنا الثقافي العربي بعامة، والشعري منه بخاصة يعد من الضروريات ـ ولاشك ـ فلقد قيل قديماً: «الشعر ديوان العرب» ويغدو ذاك الاهتمام من أوجب الواجبات حين يكون ممثلاً لشخصيات بارزة في وطننا العربي، وعالمنا الإسلامي، كان لها ما كان من الحضور المتميز في الوجدان العربي والإسلامي لسبب من الأسباب أو لعدة أسباب، والأمير عبدالقادر الجزائري الذي أقدم ديوانه اليوم للقارئ العربي بخاصة، والقارئ أياً كان بعامة، لهو من الأسماء التي تشغل مساحة محترمة في الذاكرة العربية، والإسلامية، والإنسانية، ما يعني أن العودة إلى أعماله، ومنها ديوانه الشعري تظل متواصلة، لأنها حتى الآن لم تأخذ العناية جمعاً وتحقيقاً ودراسةً ونشراً، وصاحبها شغل الآفاق بحياته، المملوءة جهاداً وإبداعاً، وسلوكه الإنساني الذي غدا مضرب مثل عند العدو قبل الصديق.

ومن هنا ـ إذ أعود مجدداً إلى ديوانه مخرجاً إياه بالصورة التي هو عليها - فإن الفضل كل الفضل يعود إلى الأستاذ الشاعر عبدالعزيز سعود البابطين الذي شرفني بإعادة تحقيقه بمناسبة الاحتفاء بالشاعر الأمير على هامش الدورة السابعة للمؤسسة العامرة الميمونة المباركة المخصصة هذه السنة لـ «أبي فراس الحمداني»، إذ لولا فضله، وكرمه وتشجيعه الدائم وأسرة المؤسسة لما التفت إلى الديوان، ولا إلى صاحبه على الرغم من إنجاز بحث متواضع عنه، وعن شعره في مرحلة الليسانس بجامعة قسنطينة.

ولعلي أكون ـ وأنا أقدم الديوان مجدداً كما أسلفت ـ قد استفدت كثيراً من جهود الذين سبقوني في إخراجه، وهو مالا يخفى على أحد، ولا يجحد بحال من

الأحوال، كما أتمنى أن أكون قد فتحت آفاقاً، أو أفقاً ـ على الأقل ـ أمام من يتناول الديوان لاحقاً ليضيف ما يضيف، ويقوّم، ما يقوّم ويلغي ما يلغي بحسب ما ينتهي إليه جهده واجتهاده من مستجدات، أو آراء في أي مستوى كان.

وإذا كان المألوف أن كل عمل علمي يعتمد فيه على منهج من المناهج، وكان هذا العمل محدداً في التحقيق، فإن السائد ـ حتى الآن ـ في هذا الحقل لا يتجاوز منهجين بارزين هما:

١ ـ اعتماد نسخة وعرض بقية النسخ عليها، والتنويه إلى الخلافات الموجودة بينها.

٢ ـ أو صناعة نسخة بالاعتماد على النسخ المتوفرة في حالة عدم إمكانية تحقيق المنهج السابق لأسباب تحول دون ذلك، وهذه الطريقة، أو هذا المنهج يعتمد في الغالب عندما لا توجد نسخ للأثر العلمي المقصود تحقيقه، مع غض النظر عن المنهج المعتمد في جمع المادة من مصادر مختلفة عندما لا توجد أي نسخة لذلك الأثر، وهو ما لا نحتاجه مع ديوان الأمير عبدالقادر الذي نشر أكثر من مرة، بجهود عدد من المحققين، الأمر الذي جعلنا نختار منهج اعتماد نسخة من نسخ الديوان، والمقارنة بينها وبين بقية النسخ الأخرى، مع التنويه إلى الخلافات الموجودة بينها، وتخريج ما لم يخرج عند مَنْ سبقنا وتوثيق غير الموثق، وشرح غير المشروح، إلى غير ذلك من الملاحظات والتنويهات التي يتابعها القارئ في مظانها في المتن أو في الهامش، مما يعني أننا لم نسرف في التقيد الصارم بمنهج واحد كما سبقت الإشارة إلى ذلك، سعياً إلى الاقتراب من الكمال الذي يظل منشدنا أبداً.

وبهذا المنهج الذي استأنسنا به انتهينا إلى أن تكون مواد الديوان محددة في شكله هذا، والذي احتوت دفتا سفره على المقدمة، وترجمة الشاعر بقلم ابنه الأمير محمد باشا والتعريف بنسخ الديوان المنشورة، ثم شعره الذي عد مكوناً لديوانه عند من

تقدمنا، تلا ذلك ملحقان: الأول وفيه جمعنا شعره الموجود في «المواقف»، والذي أبعد جله عن الديوان، والثاني وقد خصصناه لقصيدتيه الواردتين في مذكراته عن مدينة «طولون»، ورحلته إلى «بو» في أثناء وجوده بفرنسا، ثم أنهيناه بفهارس الأعلام، والأماكن، ومطالع القصائد والقوافي، وقائمة المصادر والمراجع، والفهرس العام.

وأملنا أن نكون قد حققنا بعض أهداف المؤسسة الراعية لإصدار الديوان، فإن كان ذلك فهو الحلم والمنى، وإن لم يكن فإننا قد اجتهدنا، وليس في الإمكان أبدع مما كان، وعذرنا كل عذرنا في الوقت القصير الذي أنجزنا فيه العمل.

والله من وراء القصد فهو نعم الولي ونعم النصير.

****

ترجمة الناظم رضي الله عنه

بقلم: الأمير محمد ولد الشاعر

هو فرع الشجرة الزكية ، وبدر العصابة الحسنية . إنسان عين السادة الأخيار ، وعقد جيد القادة الأبرار . صدر الشريعة بل تاجها ، بدر الحقيقة بل معراجها ، نخبة آل بيت اشتهرت بالشرف أوائلهم وأواخرهم ، وأشرقت في أفق سماء السعادة فضائلهم ومفاخرهم . من عجزت عن حصر أوصافه الأقلام ، وتباهت بوجوده الليالي والأيام ، وتزينت الطروس بغرر مزاياه ومدائحه ، وتلت النفوس آيات الحمد والإخلاص في صحائفه . واسطة عقد الشرف المقتنى ، وغصن شجرة المجد المجتنى . كعبة القاصدين ، حرم الخائفين ، ناصر الدين ، الأمير عبدالقادر بن محيي الدين بن مصطفى بن محمد بن المختار بن عبدالقادر بن خدة بن أحمد بن محمد بن عبدالقوي بن علي بن أحمد بن عبدالقوي بن خالد بن يوسف بن أحمد بن بشار بن أحمد بن محمد بن مسعود بن طاووس بن يعقوب بن عبدالقوي بن أحمد بن محمد بن إدريس بن إدريس بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن فاطمة الزهراء . بضعة خير الأنام ، عليه أفضل وأكمل السلام .

ولد قدس الله سره في رجب سنة ألف ومئتين واثنتين وعشرين ببلدة القيطنة التي اختطها جده بإيالة وهران من أعمال الجزائر ثاني أنجال والده ووالدته السيدة الزهراء بنت السيد عبدالقادر بن دوخه الحسيني تربى في حجر والده وفي مدرسته حفظ القرآن . وأخذ العلم عن أهل العرفان ، وفي سنة مئتين وست وثلاثين سافر إلى وهران وحصل ، حتى برع في كافة الفنون وكمل ، وفي سنة مئتين وإحدى وأربعين سافر منها

براً صحبة والده ذي الكمالات والعلوم الباهرة، قاصدين مكة المكرمة عن طريق القاهرة، وبعد أداء النسك رجعا إلى دمشق الشام، لزيارة الصلحاء والعلماء الأعلام، وأخذ بها عن الولي الصالح الإمام حضرة مولانا الشيخ خالد المجدوي الطريقة النقتبندية (لعلها النقشبندية)، ومنها إلى بغداد وأخذ بها الطريقة العلية القادرية على السيد محمود الكيلاني ثم رجع براً إلى الشام، وآب منها إلى بيت الله الحرام، وبعد أداء المناسك رجع من طريق البر إلى بلدته في السنة الثالثة والأربعين بعد المائتين وفي سنة ست وأربعين قام والده بأمر الجهاد فحارب معه سنتين وفي رجب سنة ثمانية وأربعين بايعه أهل الجزائر أميراً عليهم لاشتهاره بالشجاعة والعلم والبراعة، فباشر الأعمال، وركب الأخطار والأهوال وأقام الإمارة على قدمي الفضل والعدل، وزانها بما يؤيده العقل والنقل، وضرب السكة من فضة ونحاس، وأنشأ المعامل للأسلحة واللباس.

وقام بأمر الجهاد ست عشرة سنة، يحارب الدولة الفرنساوية ويحمي دينه ووطنه، وأظهر من الشجاعة والبسالة والفتك في كل مجال ما اشتهر في الآفاق وقد بسطت ترجمته في كتابي المسمى بـ«تحفة الزائر في مآثر الأمير عبدالقادر» وكانت الحرب بينهما سجالاً(*) وكان يباشر القتال بنفسه ويتقدم أصحابه في المواقف فيرجع وقد ألبسته مخرقة من الرمي بالرصاص ولم يصبه سوى جرح بكتفه وآخر بأذنه ومات تحته عدة خيول ثم هاجمته دولة مراكش من جهة أخرى وبعد محاربات عديدة علم أن التسليم أولى فسلم لدولة فرنسا على شروط مقررة وعهود وذلك في محرم سنة ألف ومئتين وأربع وستين وبقي محجوراً(**) عليه عندها. وفي سنة ست وستين حضر إلى محل إقامته بمدينة إمبواز نابليون الثالث إمبراطور فرنسا وبشره بإطلاق سبيله وأهداه سيفاً مرصعاً ورتب له في كل سنة خمسة آلاف ليرة فرنساوية فتوجه إلى باريس ومنها إلى الآستانة العليا فتشرف بمقابلة ساكن الجنان مولانا السلطان الغازي عبدالمجيد خان طاب

(*) كانت في الأصل: سجال، والتصحيح من عندنا.
(**) كانت في الأصل: محجور، والتصحيح من عندنا.

ثراه فأكرم وفادته وأحسن مثواه ومنحه في بورسة داراً عظيمة ثم رجع سنة السبعين إلى الآستانة وتوجه إلى باريس ثم رجع إلى بورسة وعزم سنة إحدى وسبعين على السكن بدمشق الشام فارتحل إليها ، ثم توجه سنة ثلاث وسبعين إلى زيارة بيت المقدس والخليل وقرأ في شهر رمضان البخاري الشريف في دار الحديث والإتقان والإبريز في مدرسة الجقمقية ، واعتكف في شهر رمضان سنة خمس وسبعين بالجامع الأموي وقرأ الشفا والصحيحين في مشهد سيدنا الحسين . وفي سنة سبع وسبعين منحته الدولة العلية النيشان المجيدي من الرتبة الأولى وأهدته أيضاً الدول الفخام نياشينها من الطبقة الأولى نظراً لما أبداه من مساعدة للمسيحيين في واقعة تلك السنة ، ثم سافر إلى حمص وحماه وزار سيدنا خالد بن الوليد ومن حل في حماه ، وفي سنة ثمانين توجه إلى مكة وأقام بها وبالطائف والمدينة المنورة سنة وستة أشهر وأخذ بمكة الطريقة الشاذلية عن الشيخ محمد الفاسي ، وقصد الآستانة سنة اثنتين وثمانين وتشرف بمقابلة ساكن الجنان السلطان الغازي عبدالعزيز خان طاب ثراه فأكرم نزله وأحسن قراه ومنحه النيشان العثماني من الرتبة الأولى ، ثم توجه منها إلى باريس فزاد له الإمبراطور على مرتبه السابق ألفين وخمسمائة ليرة إفرانساوية في كل سنة ، ودعي إلى مصر سنة ست وثمانين ليحضر احتفال خليج السويس ، وقرأ الفتوحات المكية سنة تسع وثمانين مرتين بعد أن أرسل عالمين لتصحيحها على النسخة الموجودة بخط مؤلفها الشيخ الأكبر في قونيه ، وأخذ الطريقة العلية المولوية على حضرة الدرويش صبري شيخ الطريقة المولوية بالديار الدمشقية ، وكان محافظاً على السنن عاكفاً على شهود الجماعة كثير الصدقات وكان مرتباً راتباً في كل شهر للعلماء الصلحاء والفقراء منتصبًا لقضاء حوائج العباد ، عاملاً بتقوى الله في السر والجهر ، متعبداً على مذهب سيدنا مالك ، وتغلغل في آخر عمره في علوم القوم وأظهر من دقائق الحقائق وعوارف المعارف ما يؤذن بسمو مقامه ، وكان يصوم شهر رمضان على الكعك والزبيب معتزلاً عن القريب والغريب وله خلوة يتحنّث بها في قصر بقرية أشرفية صحنايا ، وكان مشتغلاً عن مرض وفاته بالمراقبة

والمشاهدة حتى إنه لا أنّ ولا تأوّه إلى أن انتقل إلى رحمة ربه الكريم في منتصف ليلة السبت لتسع عشرة خلت من شهر رجب سنة ألف وثلاثمائة في قصره بقرية دمر من مرض اعتراه بالكلى والمثانة، مدة خمسة وعشرين يومًا وصلى عليه بالجامع الأموي خلق كثير، وكان له مشهد لم يعهد له نظير، واجتمع في جنازته أمم من جميع الملل ودفن ظهر يوم السبت جوار الشيخ الأكبر سيدي محيي الدين بن عربي الحاتمي في حجرته وتوفي عن زوجته ابنة عمه وثلاث جوار جركسيات وجارية حبشية وخلف عشرة أولاد ذكور وست بنات. وكان ﷺ معتدل القامة عظيم الهامة، ممتلئ الجسم أبيض اللون مشرباً بحمرة أسود الشعر كثّ اللحية أقنى الأنف أشهل العينين يخضب بالسواد، وله من التأليفات تعليقات على حاشية جده السيد عبدالقادر بن خدة في علم الكلام، وتنبيه الغافل وذكرى العاقل، والمقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد، والمواقف في علم التصوف، وله من الشعر الرائق والنثر الفائق ما يطرب الأسماع ويستهوي الألباب والطباع وكان يحب اللعب بالشطرنج ويحسن الخياطة سيما خياطة الشبكة. وبالجملة كان إماماً جليلاً عالماً عاملاً نبيهاً نبيلاً زاهداً ورعاً مهاباً شجاعاً كريماً حليماً، أوّاباً رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مثواه، آمين.

****

الديوان ونشره

أ ـ إن أول نسخة نشرت للديوان هي النسخة التي أعدها ابن الشاعر «محمد»، والتي نشرها في دار المعارف بمصر، وعنونها بـ «نزهة الخاطر في قريض الأمير عبدالقادر» وهي نسخة لا تحمل تاريخ نشرها، كما لا يذكر لنا معدها للنشر مصادره التي أخذ عنها شعر الأمير، إذ نجد في مقدمته التي لا تتجاوز ثلاثة عشر سطراً، بما فيها «الحمدلة» المعتادة في المقدمات التقليدية المعروفة، والتي استغرقت أربعة أسطر نجد قوله: «أما بعد فيقول المفتقر إلى رحمة مولاه الغني، محمد بن الأمير عبدالقادر الحسني: قد سنح بفكري أن أرتب ما عثرت من كلام مَنْ في جوامع محامده ركعت غرر الشمائل، وفي محاريب معاليه سجدت جباه الفضائل، وكرع من بحر محيط الشريعة صافي الشراب، وبرع في نشر خفي الحقيقة لما عن الأغيار غاب، سيدي ومولاي ناصر الدين، الأمير عبد القادر بن محيي الدين، ولم أتعرض لذكر ماله من النظم في الحقيقة واللطائف، حيث أنه قدس سره أثبتها في كتابه المسمى بالمواقف، لا زالت أحاديث فضله تروى وتسند، وآيات بره بين الملأ تتلى وتشهد، ماذر شارق، ولاح بارق»[1]

ثم يبدأ في الصفحة نفسها بأول قصيدة من الديوان وهي المعنونة بـ «أبونا رسول الله» إلي آخر نص في النسخة هذه وهي المعنونة بـ «وراء الصورة» والتي نظن أن طابع النسخة نسيها واستدركها في آخرها، لأننا لا نجد في ترقيم صفحات النسخة الصفحة الثانية.

وقد تميزت نسخة «محمد بن الأمير» التي رمزنا لها في التحقيق بحرف «أ» بأنها الوحيدة التي تحمل عنوان «نزهة الخاطر في قريض الأمير عبدالقادر»، ويبدو العنوان

مقترحاً من لدن «محمد» نفسه، لأنه لو وضعه الشاعر لذُكِر، ولأمكن لنا الحصول على نسخة كاملة يكون قد أعدها بنفسه، وهو ما يستشف ضمنياً من رأي «محمد» الذي لم يحدث أن نسب إلى الشاعر هذا العمل، بل ذهب إلى القول بأن ما قدمه في الديوان هو كل ما وقعت عليه يداه من غير الوارد في كتاب المواقف من الأشعار، وتلك سنتحدث عنها لاحقاً.

وكيفما كان فإن عنوان: «نزهة الخاطر في قريض الأمير عبدالقادر» يبدو أنه لم يستحسن من أي محقق آخر، لذلك لم يثبت في النسخ التي أخرجوها، فهذا «حقي» يكتفي بعنوان «ديوان الأمير عبدالقادر الجزائري»، وذاك «صيام» يعتمد عنوان «حقي» نفسه، وهو ما اعتمدناه من جهتنا مضيفين إليه كلمة الشاعر لأن عنوان «نزهة الخاطر في قريض الأمير عبدالقادر» نراه يصلح للدراسة أكثر مما يصلح للديوان، و بخاصة في عبارة: «نزهة الخاطر»، التي توحي بدلالات عديدة.

فإذا تجاوزنا العنوان، فإننا نسجل أن نسخة «محمد» هذه تخلو من كثير من شروط التحقيق، فالهوامش فيها منعدمة إلا في حالات نادرة لا تصل عدد أصابع اليد الواحدة، كما أن الإحالات لا وجود لها، نهائياً والتوثيق كذلك، فضلاً عن أنها لم تخضع لمنهج معين في ترتيب القصائد كالمتبع في كل الدواوين القديمة باعتماد الحروف الهجائية، أو المنهج الحديث الذي يعتمد فيه البعض على الأغراض الواردة في الديوان مثل ما فعل «حقي» في هذا الجانب، وما اعتمده «صيام» بخصوص الحروف الهجائية، وقد كان يمكن أن يعيد الترتيب الذي اعتمده «محمد» إلى تاريخ نظم القصائد، ولكنها تخلو من ذلك كلياً، ومع ذلك فإن فضل الأمير «محمد»، يبقى واضحاً على كل من حاول تحقيق الديوان بعده لأنهم جميعاً استفادوا من عمله، فاعتمدوه أصلاً في واقع الأمر، كما فعل ذلك «حقي» ثم «صيام» من بعد مع اختلاف بين المحققين في نقطة واحدة هي استبعاد «حقي» لأشعار «المواقف»، في تحقيقه، كما فعل «الأمير محمد»، وإثبات «صيام» لها في نسخته كبقية أشعار الديوان الأخرى.

كما لا نجد عناوين قصائد الشاعر في هذه النسخة، مثل تلك التي تميزت بها نسخة «حقي» وإنما نجد قبل كل قصيدة أقوالاً مثل: «وقال قدّس الله سره، وعمّنا فيضه وبره»، و«قال طيّب الله ثراه في ابتداء إمارته»، و«قال رضي الله عنه حين استلم مدينة تلمسان من الفرنساويين»، وهكذا مع بقية القصائد، في كامل الديوان الذي يخلو من كل الفهارس العلمية، بما فيها فهرس الموضوعات أو القصائد في حين أثبت في نهايته جدولاً بالأخطاء المطبعية التي وردت فيه.

ب ـ نسخة الدكتور ممدوح حقي:

تعد نسخة الدكتور «ممدوح حقي» النسخة الثانية التي قدمت للقارئ العربي في حدود ما نملك حتى الآن من المعلومات، وهي نسخة من الحجم الكبير، بالقياس إلى نسختي «الأمير محمد» ونسخة «صيام»، مؤلفة من أربع وأربعين ومائتي صفحة (٢٤٤)، بلغ المعدل المتوسط للأسطر في صفحاتها بين عشرة، واثني عشر سطراً (١٠/ ١٢)، طبعت مرتين، الأولى لا يذكر المحقق تاريخها في مقدمتها، ويبدو أنها كانت في ظل الثورة التحريرية الجزائرية المباركة، والثانية بعد استقلالها سنة ١٩٦٤، بحسب ما ثبت على الغلاف، وقد عنون الديوان بـ «ديوان الأمير عبدالقادر» موضحاً العنوان بعبارة «شرح وتحقيق» تلا الغلافين الخارجي والداخلي إهداؤه الكتاب كما أسماه ونصه «إلى الجزائر العربية المجاهدة وأبطالها الميامين، وروح الأمير الشاعر عبدالقادر باني شخصية الجزائر الدولية، ومعيدها إلى عروبتها الصافية» ثم مقدمة الطبعة الأولى التي شغلت صفحات (من ٧ إلى ١٧)، فمقدمة الطبعة الثانية والتي اكتفى فيها بصفحة واحدة وفي المقدمة الأولى ذكر بعض النقاط والمحطات عن حياة الأمير عبدالقادر، كما أشار إلى تجاوزه أشعاره في المواقف، والتي رأى أنها «خليط عجيب من قوله وقول سواه» وباختصار بخصوص شعر الأمير فإنه وبعد أن ذكر بأن الأمير كان يعتقد أن الشعر من متمّات الفخر، والزينة، قال عن ديوانه:

«وديوانه الذي بين أيدينا ـ على ما يبدو لي ـ جزء قليل مما نظمه، جمعه قبلي ولده محمد باشا، وأشار إلى أنه ضرب صفحاً عما قاله في «الحقيقة واللطائف»، وهو يعني بالحقيقة ما وراء الشريعة من التصوف الرمزي، وإني لأعرف له كثيراً من هذا النوع يتناشده رجال الطرق في أذكارهم، على أني وإن كنت قليل الشك في نسبته إليه، فلا ريب عندي في أنه أصبح خليطاً عجيباً من قوله وقول سواه من الدخلاء على هذا الفن، ومزيجاً غريباً من أقوال متفاوتة الدرجات، وأكثره محطم الوزن، مضطرب المعنى، يشق تخليص بعضه من بعض، وليس من وراء ذلك جدوى فنية ذات قيمة، والذي بين أيدينا فيه الكفاية، ليدل على مستواه في الشعر، وعلى الفنون التي تعاطاها، ومنزلته بين شعراء عصره، و وأسلوبه وقدرته. . وهو ـ على العموم ـ آخر حلقات الشعر المتحدر من القرون الوسطى بكل مافيه من مزايا وعيوب، وهو إلى النظم أقرب منه إلى الشعر. . . . »[٢]

فحقي بموقفه هذا من شعر الأمير حدد قصده من إصدار الديوان، فهو لم يبحث عن شعر الأمير كله، كما لم يسع إلى تحقيقه، وتوثيقه بالعودة إلى المصادر التي يمكن أن يستدرك بعضه عن غيره، وبخاصة نسخة «الأمير محمد» ويقارن بين ما في نسخة «الأمير محمد»، وتلك المصادر والمراجع، إذ المستشف من كلامه أنه أراد الوصول بالديوان الذي أعده إلى إعطاء صورة عن شعر الأمير من زوايا تمثيل شخصية الأمير، وعصره، ومستواه الفني، أما وقد تحقق له ذلك من المادة الشعرية التي اكتفى بها في الديوان، فقد استبعد شعر «المواقف» كله ما عدا قصيدة «أستاذي الصوفي» التي أثبتها كذلك الأمير محمد في الديوان، ونجدها في «المواقف» أيضا.

أما ماذهب إليه من بعض الشك في شعر «المواقف» على أنه ليس للأمير، فإن ذلك النزر من الظن عنده قد يعني بعض ما يمكن أن يضاف، أو يدس في ثنايا القصائد ليس إلا، لأن شعر «المواقف» ورد في مظانه كما أراد الأمير عبدالقادر نفسه ذلك، كونه المثبت له، والمرتب إياه في الكتاب.

فإذا تجاوزنا المقدمتين وجدنا شعر الشاعر قد اعتمد «حقي» في ترتيبه على أغراضه فجاء وفق هذا التسلسل: «الفخر»، من (ص ٢١ إلى ص ٥٠) و«الغزل» من (ص ٥١ إلى ص ٧٨)، و«مساجلات» من (ص ٧٩ إلى ص ١١٨)، و«مناسبات» من (ص ١١٩ إلى ص ١٨٠)، و«تصـــوف» من (ص ١٨١ إلى ص ٢١٤)، وهو ترتيب تبنى فيه منهجاً يعتمد الموضوعات أساساً لترتيبه وهو ما تبيحه المناهج الحديثة وتقره، فضلاً عن ذلك، فإن ترتيب الموضوعات التي نجدها في حد ذاتها بهذه الكيفية ترتيب معلل، فالفخر مثلاً الذي ابتدأ به هو من الموضوعات التي نجدها حاضرة بكثافة في تعبير الشعوب في مرحلتها الطفولية، بل وحتى البدائية، إلى جانب كون صاحب الديوان «الأمير عبدالقادر» مارس التجربة الشعرية في هذا الغرض، عملياً في مرحلة جهاده الطويلة، وعلى العموم فإن نسخة «حقي» يلاحظ عليها الآتي:

١ ـ عنونته جميع قصائد الديوان.

٢ ـ كما في نسخة «الأمير محمد» نجد فيها أشعار الشعراء الذين عارضهم الشاعر أو ساجلهم وعددهم ثمانية، والاكتفاء أحياناً بأبيات منها فقط، ونجد ذلك في الصفحات ٦٩, ٧٣, ٧٦, ٨٢, ٨٣, ٨٦, ٨٧, ٩٠, ٩٢, ٩٤, ٩٧, ١٠١, ١٠١, ١٠٦, ١١٨, ١٧٤.

٣ ـ توظيفه الهامش توظيفاً محدوداً لم يتجاوز بعض الشروح اللغوية، أو الملاحظات النحوية، والعروضية.

٤ ـ الإسهاب في التعليق على بعض القصائد.

٥ ـ عدم استعمال فهارس، عدا فهرس الموضوعات.

٦ ـ عدم تحديد بحور القصائد، مع بدئها، أو حتى في فهرسة الديوان.

٧ ـ لا وجود لقائمة المصادر والمراجع.

٨ ـ عدم توثيق كل النصوص التي ذكرها لغير الشاعر، كما لم يخرج الآيات القرآنية الكريمة ويحققها في الهوامش.

٩ ـ شكل القصائد محدود جداً نراه لا يفي بالغرض، ومع ذلك فقد تميزت به النسخة دون نسختي «الأمير محمد» و«صيام».

إن الملاحظات السابقة التي يستحسن أن تصحب أي تحقيق كان، والتي تضاف إلى إغفال بعض شعر الشاعر، كالقصائد التي وردت في «المواقف»، وفي «مذكراته» أبقت عمل «حقي» مفتوحاً على الاستدراك والإضافة وتوحي كذلك بأن عبارة «تحقيق» التي تصدرت مع العنوان غلاف الديوان لم يتمثلها كما ينبغي، ومع ذلك فإن جهد المحقق بدا واضحاً في عمله، وأنه أعطى ما يمكن في ضوء المادة المتوفرة لديه آنذاك، والمناهج البارزة حينئذ، وكون نسخة «حقي» امتازت عن نسخة «الأمير محمد» بعنونة القصائد، وترتيبها بحسب الأغراض، وكانت قناعتنا متوافقة مع قناعته، فقد اعتمدنا نسخته أصلاً في الجانبين معاً مع تعديلات وإضافات سننوه إليها لاحقاً عند توضيح ما أنجزناه وبما أشرنا إليه في الهوامش كذلك.

جـ ـ نسخة «زكريا صيام»:

هذه هي الإصدار الثالث للديوان، أو هي النسخة الثالثة التي وصلنا إليها، وهي بعنوان «ديوان الأمير عبدالقادر الجزائري تحقيق وشرح وتعليق»، صدرت عن «ديوان المطبوعات الجامعية»، الجزائر سنة ١٩٨٨، بحجم متوسط بلغت صفحاته أربعين وثلاثمائة صفحة، قدم للديوان الدكتور «إبراهيم السعدي» في ثلاث صفحات من (ص٧ إلى ص ٩) تلت ذاك ترجمة الشاعر الأمير عبدالقادر من (ص ٣ إلى ص ٥٦) تخللتها صور للأمير في الصفحات: (١٧ , ٢١ , ٢٥) ولوحة رخامية تؤرخ معاهدة «تافنا» الشهيرة في (ص ٣٥) ثم صورة الأمير مجدداً في (ص ٣٩) مذيلة بختمه الرسمي، وهي غير واضحة نسبياً، كما نجد صورة الأمير وأفراداً من رجاله محاطين ببعض الفرنسيين في «أمبواز» السجن الذي سجن فيه بفرنسا، وصوراً أخرى للأمير

كذلك في صفحتي (٤٧, ٥٣) ومن (ص ٥٩ الى ٩٠) نقرأ ماكتبه المحقق عن شعر الأمير، بحيث بدأ موضوعاته معتمداً فيها على ما أثبته «حقي» رافضاً بعض العناوين التي اقترحها «حقي» لأنه يرى أنها لا تنسجم مع اتجاه الأمير الصوفي كعنوان «وليمة الله»، كما تحدث عن بنيوية شعر الأمير كما أسماها بشيء من الإيجاز فتناول المعجم بخاصة من (ص ٧٢ إلى ص ٩٠) وقد انتهى بخصوص هذه النقطة إلى القول في خلاصة مؤداها «وبعد فإن معالم شعر الأمير البنيوية، تجاوزت حدود عصره، إلى ماسبقه بقرون عديدة، واشرأبت إلى مشارف العصر الحديث ولو أمكنه التفصي من قيود عصره، التي أثقلت كاهل شعره لاقترب من خط محمود سامي البارودي الذي جمع بينه وبين الأمير مقومات متعددة الجوانب (كذا) تستحق الدرس من الباحثين»[٣].

ثم يبدأ الديوان بـ «الهمزة» من (ص٩٣، إلى ص ٣٢٠)، لتأتي بعد ذلك فهارس «الأعلام» و«الأماكن» و«القصائد والأبيات» كما أسماها فالفهرس العام. إن «صيام» خلاف «حقي» حاول اعتماد طريقة من طرق التحقيق فتميز عمله بالخصائص الآتية:

١ ـ حاول الرجوع إلى بعض المصادر والمراجع في عمله، فاستحضر نسخة «الأمير محمد»، و«تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبدالقادر»، للأمير «محمد بن عبدالقادر الجزائري» كذلك شرح وتعليق الدكتور «ممدوح حقي» كما رجع إلى نسخة الديوان لـ «ممدوح حقي»، لكنه خالف «الأمير محمد»، و«حقي» في ترتيب أشعار الديوان بترتيبه إياه ترتيباً هجائياً.

٢ ـ أسقط كل عناوين القصائد التي اقترحها «حقي» في نسخته.

٣ ـ اعتمد مخالفة كل ما استطاع مخالفته فيما ورد من شروح، وتعليقات، في نسخة «حقي»، وكأني به أراد إبطال جهد الرجل إبطالاً كلياً لدواع لا أدري أسبابها، وربما كانت فكرة «خالف تعرف» هي التي تحكمت في عمله.

٤ ـ لم يعوض عناوين «حقي» بأخرى ينتقيها من مضمون الأشعار، أو من معانيها، وكان مثل «الأمير محمد» يصدر قصائد الشاعر بمثل قوله: «وقال الأمير» و«وقال في التصوف»، و«وأنشد» و«ومما أنشده في ذلك القصر قوله»، و«ونظم المقطوعات...»، ما يعني أنه لم يعتمد أسلوباً واحداً بحسب المعتاد وعند بعض القدماء، وما تراه اتجاهات النقد في المناهج الحديثة.

٥ ـ عدم الدقة في تحديد الصفحات التي أخذ منها مثلا ذكره (ص ٦٤٠) في التحفة، والصحيح أن ما يعنيه موجود في الصفحة (٦٣٩) والأمر متكرر معه في أكثر من موقع كصفحة (٤٥٩)، و(٧٠٢)، وإغفال أرقام الصفحات أحياناً إغفالاً كلياً، كما ورد في صفحة (١٠٩)، حين أحال على «التحفة» دون تحديد الصفحة التي نجد فيها ما أخذ منها.

٦ ـ الإسهاب في الشروح والتعليقات والمقدمات التي يصدر بها النص كما في صفحة (٢١٥)، مثلاً حيث قدم لمقطوعة شعرية من ثلاثة أبيات بخمسة أسطر كاملة.

٧ ـ الأخطاء العلمية، والتي نذكر منها على سبيل المثال عدم مراعاة السياق الذي يكون الشاعر في منحاه، والأخذ على الشاعر تصريف ما لا ينصرف، وهو ما يتاح للشاعر، ويباح له فيما يعرف بـ «الضرورات الشعرية»، ومثاله في الصفحة (٩٦)، وصفحة (١٠٠) حين جمع الشاعر «مفازات» بعد «كم».

٨ ـ عدم تخريج الآيات القرآنية وتوثيقها بتحديد مظانها في سور القرآن الكريم، وهذا في كامل الديوان.

٩ ـ عدم الدقة في إرجاع الاختلافات بين النسخ إلى مواطنها الحقيقية، فقد ذكر في صفحة (١٤٢)، أن عبارة «تمرمرت» وردت هكذا في «التحفة» وفي نسخة «الأمير محمد»، والصحيح أن العبارة في نسخة الأمير وردت «أثمرت» وليس «تمرمرت».

١٠ ـ إغفال الإشارات أحياناً إلى الخلافات الموجودة بين النسخ التي اعتمدها في تحقيقه، كما في صفحة (٢٢٠) حين لم يشر إلى الخلاف الموجود بين ما اعتمده، وما في نسخة «الأمير محمد»، وكذلك في الصفحة (٢٩٣).

١١ ـ التعسف أحياناً في أحكامه النقدية، على بعض الصيغ والتعابير، ومن ذلك ما علق به على قول الأمير «بل قد أفاض مدامعي»، حيث علق قائلاً: «يلاحظ تنافر الحروف في تعبيره».

١٢ ـ تخطئة الشاعر فيما لم يخطىء فيه للتسرع، أو لقلة الدراية، إذ نجده قد حكم على روي قصيدة الشاعر التي مطلعها:

«يا سواد العين! يا روح الجسدْ

يا ربيع القلب! يا نعم السندْ»

حكم على رويها بوجود «إقواء» فيها بكثرة لاعتقاده أن قافيتها مطلقة، والصحيح أن القصيدة من «الرمل»، وقافيتها مقيدة مما يبرئ الشاعر من الوقوع في الإقواء في قافيتها تماماً.

١٣ ـ عده زيادة بعض الحروف لدى الشاعر ترفاً في التعبير، ولا داعي لها كما في قول الشاعر في شطر البيت «أما آن للخل المريض بأن يبرا» حيث، عد حرف «الباء» زائدا في قوله «بأن»، والشطر كما نرى من «الطويل» ووجود الباء هنا ضرورية لحفظ الوزن من الاضطراب والانكسار، وهو مباح للشاعر.

١٤ ـ تصحيح بعض العبارات في المتن دون ذكر ذلك في الهامش، ففي بيت الشاعر:

«تكاد لذكراهم تذوب حشاشتي

ومالي سواهم من ولي ولا خال»

صحح ذكراهم، ولم يشر إلى ذلك في الهامش.

١٥ ـ عدم إعطائه أي معلومة من المعلومات عن مصادره، ومراجعه في التحقيق بحيث اكتفى بذكر عناوينها ونادراً ما يذكر اسم مؤلفها كلما رجع إلى أي منها، الأمر الذي جعلنا لا نعرف المعلومات اللازمة عنها فنراعيها في أثناء العودة إليها للاستفادة منها بشكل من الأشكال، ولأي غاية من الغايات الساعي إلى تحقيقها، والأبعد من هذا أنه لم يثبت قائمتها في آخر مؤلفه بحسب ما تقتضيه المناهج العلمية الحديثة.

١٦ ـ وخلاف جهد «حقي» بخصوص شكل ما يرى ضرورة شكله في الديوان فإن «صيام» لم يشكل أي حرف في الديوان نهائياً، ولا ندري ما سبب ذاك التقصير غير المستساغ كلياً في تحقيق تراثنا العربي.

١٧ ـ إسرافه في الهوامش وفي الشرح اللغوي للمفردات إسرافاً مخلاً حتى حول الديوان إلى شبه معجم لغوي، واقتناصه للفرص السانحة، والافتعال أحياناً أخرى من أجل الرد على «حقي» بالمناسبة وغير المناسبة، ما يصرف القارئ عن شعر الأمير ويشغله بتلك الشروح، والمعروف أن الهوامش ينبغي أن يتعامل معها بذكاء ومهارة ودقة حتى لا تطغى على المتن، فتصير هي نفسها متناً آخر على كاهل المتن الأصلي.

د ـ منتخبات «محمد ناصر»:

هذه مجموعة من قصائد الأمير بلغ عددها (١٨) قصيدة اختارها الدكتور محمد ناصر من ديوان الأمير عبدالقادر، وقدمها لطلاب الثانويات، طبعت في المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر سنة ١٩٨٤، اعتمد فيها على نسختي «الأمير محمد» و«ممدوح حقي»، كما اعتمد على دراسة الأستاذ «عبدالوهاب بن منصور»، في بعض الملاحظات والمعلومات التي قدمها عن الشاعر وشعره، فالكتيب إذن أعد لغاية

محددة، وغرض معين لذلك ركز فيه المؤلف على الانتقاء، وشرح بعض المفردات، وتقديم ترجمة موجزة عن الشاعر دون الاهتمام بالجوانب العلمية الأخرى، ومع ذلك فإن المؤلف انفرد عن غيره ممن ذكرنا بإثباته قائمة المصادر والمراجع التي أخذ عنها في مؤلفه ذاك. وكون «المنتخبات» مع عدد نصوصها الضئيل بالقياس إلى ديوان الأمير فإننا لم نهملها في عملنا حتى نقترب من كل ما نشر من شعر الشاعر، إن لم نحط به كله، وقد رمزنا لمنتخبات «ناصر»، بحرف «ن».

هـ - الملحقـــان:

كما تبين فإن ديوان «الأمير عبدالقادر» الذي أصدره ولده «محمد»، والذي حذا حذوه فيه «ممدوح حقي» لم يضم كل شعر الأمير، بحيث استبعد عنه شعره الذي في «المواقف» ، أما «صيام» فقد حاول استدراك ذلك، وأثبت ما وصل إليه من شعره في «المواقف»، ومع ذلك فقد فاتته بعض النصوص، كما سيلاحظ ذلك في مظانه في الديوان أو في الملحقين معا.

ولما كان المألوف في التحقيق هو اعتماد أكثر من نسخة عندما تكون موجودة، وكان الأمر هذا منسحباً هنا على ديوان الأمير، فإني - وكوني - لم أجد نسخاً أخرى لشعر الأمير في «المواقف» وفي غيرها فقد فضلت أن أبقي الديوان كما عده ابنه، ومن سار على نحوه، وأن ألحقه بملحقين: الأول وخصصته لشعره الذي أثبته الأمير بنفسه في المواقف، كما قيل، وربما لذاك فضل ابنه إبقاءه هناك على دمجه في الديوان، والثاني وخصصته لقصيدتين وردتا في مذكراته، كتبهما عن مدينتين فرنسيتين، ولأول مرة يشار إليهما في ديوانه الذي يكون جمع فيه كل شعره المتوصل إليه الآن.

وبالملحقين الموضحين آنفاً يمكن لنا القول: إن جهدنا قد سعى إلى جمع شعر الأمير في دفتي ديوان واحد، وحاول في ظروف محددة زمنياً أن يستدرك ما فات من

سبقنا ، وأن يعرض صور كل المحققين السابقين مسقطاً بعض ما رآه زائداً ، علمياً بحسب قناعتنا ، مبعداً كل الأشعار التي كانت مثبتة في النسخ السابقة على أساس أنها وجهت للأمير مشيراً إلى أصحابها ، وإلى مطالعها في الهوامش ومواطن وجودها لتخصيص الديوان لشعر صاحبه ليس إلا ، وإثبات مواطنها للعودة إليها لمن أراد ذلك . إلى غير هذا مما ألمعنا إليه في المقدمة ، أو في الصفحات هذه الخاصة بنسخ الديوان ، وفي الهوامش والإحالات .

ويبقى جهدنا أبداً ، جهداً بشرياً فيه من التوفيق ما فيه ، ومن الضعف والخطأ ما فيه ، وسنكون ممنونين لكل من يهدي إلينا أخطاءنا لنستدركها إن وفقنا الله إلى ذلك في حين آخر إن شاء الله .

****

إحالات:

(١) محمد (الأمير) بن عبد القادر ، نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر، دار المعارف، مصر، بلا تاريخ، ص ١ .

(٢) د. ممدوح حقي، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، شرح وتعليق، دار اليقظة العربية، بيروت، ط٢ ١٩٦٤، ص: ١٤، ١٥، ١٦ .

(٣) د. زكريا صيام، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٨، ص: ٩٠ .

جدول الرموز
المستعملة في التحقيق

«أ» نسخة الأمير محمد باشا ابن الأمير عبد القادر.

«ت» نسخة تحفة الزائر في تاريخ الجزائر، والأمير عبد القادر.

«ص» نسخة الدكتور زكريا صيام.

«ه» نسخة منتخبات الدكتور محمد ناصر.

«ر» كتاب المواقف للأمير عبد القادر الجزائري.

«م» نسخة الدكتور ممدوح حقي، وهي التي اعتمدناها أصلاً في التحقيق كما ذكر ذلك في موطنه

(م) المراجع.

****

أ - الفخـــر

وراء الصـــورة (*)

[من الطويـــل]

لـئنْ كَـــــانَ هـذا الـرسمُ يعطيكَ ظاهـري
فليس يُريكَ الـرسمُ صـــورتَـنا الـعظْمَى[1]

فــــثَمَّ، وراء الرسْمِ، شـــخصٌ مــحـــجَّبُ
له هِمَّـــة، تعلُو بأخـــمـصِـهَـا النجْـمَـا

وَمَـا المَرْءُ بالوجـه الـصـبـيح افـتـخـارُهُ
ولكنه بالعـــقلِ، والخُلُقِ الأســـمَـــى

وإنْ جُـــمــعت للمـــرء هــذِي وهـــذِه
فــذاك الذي لا يُبـــتـــغى بَعْـــدَهُ نُعـمَى

****

(*) كان من عادة الأمير الشاعر أن يكتب هذه الأبيات تحت صورته أو خلفها لمن يهديها له.

(١) الأبيات في " ص "، ص: ٢٨٨ ـ ٢٨٣ و في « ا »، ص: ٥٣

أبونا رسول الله(*)

[من الطويل]

أبونا رسولُ اللّه، خير الورى طرّا
فمَنْ في الورى يبغي يطاولنا قَدْرا(1)

وَلانا غدا دينًا وفرضاً محتماً
على كل ذي لُبٍّ بِهِ يامنُ الغَدْرا(2)

وحسبي بهذا الفَخْرِ مِنْ كُل منصبٍ
وعن رتبةٍ تسمو.. وبيضاءَ أو صفْرا(3)

بعَلْيَائنا يعلو الفخارُ وإن يكنْ
به قد سما قومٌ، ونالوا به نصْرا

وباللّه أضحى عزُّنا وجمالُنا
بتقوى وعلْم والتزوُّد للأخْرى(4)

ومنْ رام إذلالاً لنا، قلتْ : حسبنا
إلَه الورى، والجَدُّ.. انعمْ بِه ذخرا(5)

****

(*) المقطوعة في " ص "،ص :١٦٣، و "ن" ص : ٣٢ .

(١) يعتز، ويفتخر باصله المنحدر من الاسرة النبوية الشريفة.

(٢) ولانا :ولاؤنا وفي "ن " يامن الكفرا"وكذلك في "آ".

(٣) اراد بالأبيض والأصفر الفضة والذهب.

(٤) في البيت معنى الآية : ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ البقرة : ١٩٧ .

(٥) في "ن" انعم بذا. وايضا في "آ".

بنا افتخر الزمان(*)

[من الوافر]

لنا في كلِ مكرمةٍ مجالُ
ومِنْ فوق السِّماك لنا رجالُ[1]

ركبنا للمكارمِ كلَّ هولٍ
وخُضنا أبحرًا ولها زِجالُ[2]

إذا عنْها توانَى الغيرُ عجْزًا
فنحْنُ الراحلونَ لها العِجَالُ[3]

سوانا ليس بالمقصودِ لمَّا
ينادِي المستغيثُ : ألا تعالُوا !!

ولفظُ الناس ليس له مُسَمًّى
سوانا والمنَى مِنَّا يُنَالُ

لنا الفخرُ العميمُ بكل عصرٍ
ومصْرٍ... هل بهذا مايقالُ ؟!

رفعْنا ثوبَنا عنْ كلِّ لؤْمٍ
وأقوالِي تصدِّقُها الفِعالُ[4]

ولوْ ندري بماءِ المزْنِ يزري
لكانَ لنا على الظمإِ احتمالُ !!

(*) القصيدة في "أ"، ص: ٨٦٧ و "ت"، ص: ٤٦٠، ٤٦١ و: "ص"، ص :٢٥٧، ٢٦٠ ، و"ن"، ص : ٢٨، ٢٩ .

(١) السِّماك: أحد السماكين: الأعزل والرامح، وهما كوكبان نيران، ضرب الشاعر مثلاً بالسماك في علوّ المكانة، وسموّ الشخصية (م).

(٢) في كتب اللغة: الزَّجَل الجلبة، والزُّجلة: صوت الناس وجماعتهم، ولم ترد (الزجال) فكان الشاعر وضعها في مكان الزُّجل تجاوزاً. (م).

(٣) في "ت" : عجال، والعِجال جمع العجلان: المُسرع والتعريف هو الأصح نحوياً، وكذلك في "ن".

(٤) في "ت" : فاقوالي.

ذُرَا ذا المجدِ ـ حقًّا ـ قد تعالتْ
وصدْقاً قد تطاولَ، لا يُطَالُ[1]

فلا جزَعٌ ولا هلعٌ مَشينٌ
ومنّا الغدرُ أو كذِبٌ محالُ[2]

ونحلُم إنْ جنَى السفهاءُ يومًا
ومِنْ قبلِ السؤالِ، لنا نوالُ[3]

ورثْنا سؤدُدًا للعُرْبِ يبقَى
وما تبقَى السماءُ ولا الجبالُ

فبالجَدُّ القديم علتْ قريشٌ
ومنَّا فوق ذا طابتْ فَعَالُ

وكانَ لنَا ـ دوامَ الدهر ـ ذكرٌ
بذا نطقَ الكتابُ ولا يزالُ[4]

ومِنّا لم يزلْ في كلِ عصرٍ
رجالٌ للرجالِ هُمُ الرجالُ

لقدْ شادوا المؤسَّسَ مِنْ قديمٍ
بهمْ ترقَى المكارمُ والخصالُ

لهمْ هِممٌ سمتْ فوقَ الثُريَّا
حماةُ الدين، دأبهمُ النضالُ

لهمْ لسُنُ العلوم، لَها احتجاجٌ
وبيضٌ، ما يثلِّمها النزالُ

(١) في "ت" قد تعالى.
(٢) كذا بعطف النكرة على المعرفة (م).
(٣) في "ت": السفهاء حقاً. وكذلك في "ن"
(٤) استانس بقوله تعالى :﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ الأحزاب : ٥٦ .

سلُوا، تخـــبـــركمُ عنا فـــرنســـا
ويصـــدقُ إن حـكتْ منـهـــا المقـــالُ[1]
فكمْ لـي فــــيـــــهمُ من يـومِ حـــــرْبٍ
به افـــتـــخَـــرَ الـزمـــانُ، ولاَ يـزالُ

****

(١) في "ت" سلوا عنا الفرانس تخبركم. و: إذ حكت.

لبيك تلمسان(*)

[من الطويل]

إلى الصون مَدَّتْ تلمسانُ يداها
ولبّتْ فهذا حسنُ صوت نِداها

وقدْ رفَعتْ عنها الإزارَ،فلجْ به
وبرِّدْ فؤادًا، من زلالِ نَداها

وذا روضُ خدَّيها، تفتَّقَ نَورُهُ
فلا ترضَ مِنْ زاهي الرياضِ عداها

وياطالما عانتْ نقابَ جمالها
عداةٌ وهم ـ بين الأنام ـ عداها[1]

وكم رائمٍ رامَ الجمال الذي ترَى
فأرْداه منها : لحظُها، ومُناهَا[2]

وحاولَ لثْمَ الخال من وَرْدِ خدها
فضنَّتْ بما يبغي، وشطٌ مَداها

وكم خاطبٍ، لم يُدْعَ كفئاً لها، ولمْ
يشم طرفاً، من وشيِ ذيلِ رداهَا[3]

وآخرُ لم يعقدْ عليها بِعصمةٍ
وما مسُّها مساً أبانَ رضاهَا

(*) القصيدة في "أ"، ص: ٥، ٦ و "ت"، ص: ٢٨٦ ، ٢٨٧ و"ص"، ص : ٣١١، ٣١٤ وفي "ت" وردت القصيدة منسوبة كلها إلى الشاعر، بينما في "أ" تتوقف عند البيت «واخر لم يعقد...»، ونسبت بقية القصيدة إلى «قدور بن محمد بن رويلة» الذي اكملها على الصورة التي هي عليها بدعوى أن الامير لم يتمكن من ذلك، فطلب من كاتبه إكمالها، لكن روح القصيدة يبقى متجانساً فلا يحسسنا بذلك. [وانظر تعليق د. صيام على هذا الموضوع] (م).

واضطر الشاعر إلى نقل حركة اللام إلى الميم من تلمْسان لمناسبة الشعر. تنظر ترجمة تلمسان في: معجم البلدان والروض المعطار (م).

(١) في "أ" صانت، وايضا في "ت".

(٢) في أ" ومداها، كذلك في "ت".

(٣) شام: يريد نظر (م).

ولم تسمحِ العذرَا إليه بِعَطْفَة
ولم يَتمكنْ من جميلِ سناهَا
وشدَّت نطاق الصدَّ صونًا لحسْنِها
فلم يتمتَّعْ من لذيذِ لماهَا
وأبدتْ له مكْرًا وصدَّاً وجفْوةً
وسدَّت عليهِ ما نوَى بنواهَا
و خَابتْ ظنونُ المفسدِينَ بسعيِهمْ
ولم تنلِ الأعدا هناكَ مُناهَا
قدِ انفَصَمتْ منْ "تلمسانَ" حبالها
وبانتْ والتْ لا يحلُّ عُراهَا
سوى صاحبِ الإقدام في الرأيِ والوغَى
وذِي الغيرةِ الحامي الغداةَ حمَاهَا[1]
ولمّا علمتُ الصدقَ منها بأنها
انَالتْنِيَ الكُرْسِي، وَحُزْتُ علاها [2]
ولم اعْلَمَنْ في القُطْرِ غيرِيَ كافلاً
ولا عارفاً في حقِّها وبهاهَا
فبادرت حزماً وانتصارًا بهمتِي
وامهرْتُهَا حبّاً فكانَ دواهَا [3]
فكنتُ لهَا بعلاً وكانتْ حَليلتِي
وعِرْسي، وملْكي، ناشرًا للواهَا[4]
ووشَّحْتُهَا ثوبًا مِنَ العزِّ رافلاً
فقامتْ بإعجابٍ، تجُرُّ رِداهَا

(١) في "أ" حماة.

(٢) في "أ" وجدت.

(٣) في "أ" و "ت" حب شفاء.

(٤) العِرْس – بكسر العين – الزوجة (م).

ونادَتْ أعْبدَ القادرِ المنقذَ الذي
أغاثْتَ أناساً من بحورِ هواهَا !![1]

لأنكَ أعْطيتَ المفاتيحَ عُنوةً
فَزِدْنِي أيا عزُّ الجزائرِ جاهَا

ووهْرَان، والمرسَاةُ كلاً بما حَوَتْ
غدتْ حائزاتٍ، من حماكَ، مناهَا[2]

****

(١) في "أ" بحار.

(٢) في "أ" بمن حوت. ووهران مدينة تقع في غرب الجزائر وهي العاصمة الثانية بعد الجزائر العاصمة، والمرساة يريد مرسى وهران التي كانت مستهدفة في العصر الوسيط والحديث من قبل الغزاة الإسبانيين و غيرهم.

بي يحتمي جيشي(*)

[من الطويـــل]

تســـــــــائلني أمُّ البنين، وإنَّهـــــا
لأعلمُ من تحتِ الســـــمــــاءِ بأحـــوالِي

ألَمْ تعلمِي يا ربةَ الخـــــــدْرِ انني
أجَلِّي همـــومَ القـــوم، في يوم تَجـــوالِي !!

واغـشَى مـضـيقَ الموتِ لا متـهـيِّبـاً
وأحـمِي نسـاءَ الحيِّ، في يوم تَهْـــوالِ[1]

يثْـقن النِّسـا بي حـيـثـمـا كنت حـاضـرًا
ولا تثـــقَنْ في زوجــهـــا ذاتُ خلخـــالِ[2]

أمـيـــرٌ إذا مــاكــانَ جـيـشي مـقـبِـلاً
ومــوقــدُ نار الحــربِ إذْ لم يكُنْ صـــالِي

إذَا مــــالقـــيتُ الخـــيل، إنِّي لأوَّلٌ
وإن جـــال أصـــحـــابِي فـــإني لهـــا تَالِ

أدافعُ عنهمْ مـــــايخـــافـــون مِنْ ردىً
فـيـشكرُ كلُّ الخلقِ من حـسنِ افـعـــالِي

وأوردُ رايـاتِ الطعـــانِ صـــحـيـحـــةً
وأصـــدرُهـا بالرمِي تمثـــالَ غـــربالِ[3]

ومن عــادةِ الســاداتِ بالجـيشِ تحـتـمِي
وبي يَحْـتَـمِي جـيـشي وتُحْـرَسُ أبطالِي

(*) القصيدة في "أ"، ص :١١، ١٢ ص : ٢٦٦ ،٢٦٩، "ن"، ص : ٣٠، ٣١ .

(١) التهوال، والجمع تهاويل، مايهول الإنسان ويحيّره (م).

(٢) قوله: «يثقن النسا» على لغةٍ ضعيفة. (م).

(٣) في "أ" ايات.

وبي تَتَّقي يومَ الطعانِ فوارسٌ
تخالينَهمْ في الحربِ أمثالَ أشبالِ
إذا مَا اشتكتْ خيلي الجراحَ تحمحماً
أقولُ لها : صبرًا كصَبْري وإجمالي[1]
وأبذلُ يوم الروعِ نفساً كريمةً
على أنها في السلمِ أغلى من الغالِي
وعنِّي سلِي جيشَ الفرنسيس تعلمِي
بأنَّ منَايَاهمْ بسيفِي وعَسَّالِي[2]
سلِي الليل عنِّي، كم شققتُ أديمَهُ
على ضامرِ الجَنْبَيْن، معتدلٍ عالِ
سلِي البيدَ عنِّي والمفاوزَ والرُّبا
وسهْلاً وَحَزْنًا، كم طويْتُ بترحالِي
فما هِمَّتِي إلا مقارعةُ العدَا
وهزْمِيَ أبطالاً شدادًا بأبطالِي[3]
فلا تهزئي بِي واعلمِي أننِي الذِي
أُهابُ، ولو أصبحتُ تحتَ الثرىَ بالِي

****

(١) في "أ" تشكي، والبيت على صلة بقول عنترة العبسي:
"فازور من وقع القنا بلبانه
وشكا إلي بعبرة وتحمحم"
(٢) في "أ" سلي عني، والبيت استوحى فيه قول عنترة أيضا:
"هلا سألت الخيل يابنة مالك
إن كنت جاهلة بما لم تعلمي
يخبرك من شهد الوقيعة أنني
أغشى الوغى وأعف عند المغنم."
والعسّال هو الرمح، و: عَسَل الرمحُ: اشتدّ اهتزازه واضطرب (م).
(٣) في "أ" لأبطال.

ما في البداوة عيب(*)

[من البسيط]

يا عاذرًا لامرئٍ قدْ هام في الحضرِ
وعاذِلاً لمحبِّ البدو والقفرِ[1]

لا تذممنَّ بيوتاً خفَّ محملُها
وتمدحنَّ بيوتَ الطينِ والحجرِ !

لو كنتَ تعلمُ ما في البدوِ تعذرُني
لكنْ جهلتَ وكم في الجهلِ من ضررِ !

أو كنتَ أصبحت في الصحراءِ مرتقيًا
بساطِ رملٍ به الحصباءُ كالدُّررِ

أو جُلتَ في روضةٍ قد راق منظرُها
بكل لونٍ جميلٍ شيِّقٍ عطرِ

تستنشقنَّ نسيمًا طاب منْتَشَقًا
يزيد في الروح، لم يمررْ على قذرِ[2]

أو كنتَ في صبحِ ليلٍ هاج هاتِنُه
علوتَ في مرقَبٍ، أو جلتَ بالنظرِ[3]

رأيتَ في كلِّ وجهٍ من بسائِطِها
سِرْبًا من الوحشِ يرعى أطيبَ الشجرِ

(*) نظم الشاعر القصيدة إجابة عن سؤال وجهه إليه بعض أمراء فرنسا وهو: "البدو أفضل أم الحضر؟".

(١) القصيدة في "أ"، ص : ١٥، ١٦ و: "ت"، ص :٥٣٠ ، ٥٣٢، و "ن"، ص : ٣٣، ٣٦ و"ص"، ص : ١٧٢، ١٨٠ .

(٢) في "أ" لم يسري على. [والتوكيد في «تستنشقن» ضرورة. انظر معجم النحو ٤١٤] (م).

(٣) المرقب : المكان المرتفع يرتفع عليه الرقيب، والجمع مراقب.

فيالها وقفةً لم تبقِ من حَزنٍ
في قلبِ مضْنَى، ولا كدّاً لذي ضجرِ[1]

نُباكرُ الصيدَ أحيانًا فنبغتُهُ
فالصيدُ منّا مدى الأوقاتِ في ذُعرِ[2]

فكمْ ظلمنَا ظليمًا في نعامتِهِ
وإن يكنْ طائرًا في الجوِّ كالصقرِ[3]

يومُ الرحيلِ إذا شُدّتْ هوادجُنا
شقائقٌ عَمُّها مُزنٌ من المطرِ

فيهَا العذارَى وفيها قَدْ جعلْنَ كوًى
مرقّعاتٍ بأحداقٍ من الحورِ[4]

تمشي الحداةُ لها من خلفِها زجَلٌ
أشهَى من النايِ والسنطيرِ والوترِ[5]

ونحنُ فوقَ جيادِ الخيلِ نَركُضُها
شليلُها زينةُ الأكفالِ والخصرِ[6]

نطاردُ الوحشَ والغزلانَ نلحقُها
على البعادِ وما تنجُو من الضّمَرِ

نروحُ للحيِّ ليلاً بعدمَا نزلُوا
منازلاً مابها لطْخٌ منَ الوضرِ[7]

ترابُها المسكُ بل أنقى وجادَ بها
صوبُ الغمائمِ بالآصالِ والبكرِ

---

(١) في "ت" ضنكاء، وفي "ص" من وقفة.

(٢) الصَيد هنا بمعنى المصيد (م).

(٣) في "آ" و"ت" مع نعامته، والظليم ذكر النعامة.

(٤) شبه عيون العذارى وهن ينظرن الى الرجال من خلف شقوق الستائر بالرقاع تستر هذه الكوى.

(٥) الحداة : واحدها حادٍ وهو الذي ينشد الإبل لحثها على السير، والسنطير آلة موسيقية شبيهة بالقانون.

(٦) الشليل : قطعة نسيج من صوف أو شعر توضع على عجز البعير من وراء الرحل، وفي «ص»: شبه عرق الفرس بالشليل، والأكفال جمع الكفل: العَجُز (م)..

(٧) الوضر : القذر. [واللطخ: اليسير القليل من كل شيء] (م).

نلقَى الخـيـامَ.. وقـدْ صُفَّتْ بهـا ـ فـغـدتْ
مــــثلَ الســـمــــاء زهتْ بالأنْـجمِ الزهرِ
قــالَ الألى قـــد مــضَــوا، قــولاً يصــدِّقــهُ
نقلٌ وعـــقْل ومـــا لـلحقِّ من غِـــيـــرِ:
"الحـــسنُ يظـهَـــرُ في بيـــتين، رونقُـــــهُ:
بيتٌ من الشَّـــعْـــرِ أو بـيتٌ من الشَّـــعَـــرِ"[١]
انـعـــــامُـنـا إن أتـتْ عند الـعــــشيِّ تَـخَلْ
أصـــواتَهـــا كـــدويِّ الرعـــدِ بالســحَــرِ
ســـفـــائنُ البَـــرِّ بل أنـجَى لـراكـــبِـــهـــا
ســفــائنُ البــحــر كم فـيــهـا من الخطرِ[٢]
لنا المهــارَى ومـــا للريمِ ســرعـــتُـــهـــا
بـهـــا وبالخـــيل نِلْنَا كلَّ مــفــتــخــرِ[٣]
فــخــيلنَا دائمـــاً للحـــربِ مُــسْــرَجـــةٌ
من اســـتـــغـــاثَ بنا بَشَّـــرْه بالظفـــرِ
نـحـن الملوكُ فـــلا تـعـــدلْ بنا أحـــدًا
وأيُّ عـــيشٍ لمنْ قـــد بات في خــفَـــرِ؟![٤]
لا نـحـــملُ الضَّـــيْمَ ممَّنْ جـــاءَ نتـــركُـــهُ
وأرضَـــه وجـــمـــيعُ العــزِّ في الســفـــرِ
وإن أســـاءَ علينا الجـــارُ عـــشـــرتهُ
نـبـينُ عنـه بـلا ضــــــرٍّ ولا ضَـــــرَرِ
نبـــيتُ: نار القِـــرى تبـــدُو لطارِقنا
فــيـــهـــا المداواةُ من جـــوع ومنْ خَــصَــرِ[٥]

---

(١) البيت لأبي العلاء المعري، وقد ضمنه الشاعر في قصيدته.

(٢) سفائن البر: كناية عن الإبل.

(٣) مهاري جمع مهرية: ناقة من انجب النوق منسوبة إلى مهرة بن حيدان من عرب اليمن (م).

(٤) لعل البيت فيه بعض ما في قول الزبرقان بن بدر : " نحن الكرام فلا حي يعادلنا".

(٥) في "أ" تبيت.

عـــــدُونَـا مـــــالـه مَـلْـجَـــــا ولا وَزَرٌ

وعنْدنا عـــاديـاتُ الـســبقِ والـظفـــرِ[1]

شـــرابُـهَـــا منْ حليبٍ مَـــا يخـــالطهُ

مـــاءٌ وليس حليبُ النوقِ كـــالبـــقـــرِ

أمـــــوالُ أعـــــدائـنـا في كـلِّ آونـةٍ

نقـضِي بقـســمـتِـهَـا بالـعَـدْل والقـدرِ

مَـــا في البَـــداوَةِ من عـــيبٍ تُذمُّ بهِ

إلاَّ المروءةُ والإحـــســـان بـالبِـــدَرِ[2]

وصـحَّـةُ الجـسمِ فـيـهـا غـيـر خـافـيـةٍ

والعـيبُ والداءُ مـقـصـورٌ على الحَـضَـرِ

من لمْ يمُتْ عندنا بالطعْنِ عـــاش مَـــدىً

فنحنُ أطولُ خلقِ اللّه في العـــمـــرِ !!

****

(١) لابد من تسهيل همزة (ملجا) لاستقامة الوزن (م).

(٢) البِدَر (بكسر الباء وفتح الدال) جمع البَدْرة: كيس فيه الف او عشرة آلاف درهم (م).

شددت عليه شدة هاشمية(*)

[من الطويـــل]

توسّـــدْ بمهـــد الأمنِ قـــد مـــرّتِ النوَى
وزال لُغـوبُ السيـر من مـشـهـدِ الثـوَى[1]

وعـــزٍّ جـــيـــادًا حـــاد بالنفس كـــرُّها
وقـد أشـرفتْ ـ ممَّا عـراها ـ على التَّـوَى[2]

ألا كم جـــرتْ طلقـــاً بنَا تحتَ غـــيـــهبٍ
وخـاضتْ بحـارَ الآلِ من شـدةِ الجـوَى ؟![3]

وكم مِن مـــفـــازات يضلُّ بـهـــا القطَا
قطعتُ بـهـــا والذئبُ من هوْلـهـــا عـــوَى[4]

وقـد أصـبـحتْ مـثلَ القـسيِّ ضـوامـرًا
وتلك سـهـامٌ للعِـدَا وقْـعُـهـا شـوَى[5]

إلى أن بـدَتْ نيـــرانُ أعـــلامِنا لـهَـــا
وفي ضـوءِ نيـرانِ الكرامِ لـهـا صـوَى[6]

ولا ســيَّــمــا أهلُ الســيــادةِ مــثلُنا
بنُو الشـرفِ المحضِ المصـونِ عن الهـوَى[7]

(*) قال الشاعر قصيدته في معركة "خنق النطاح" قرب وهران، وقد وجه إليه فارس من الأعداء سهماً فمر نحو إبطه، ولم يصبه بأذى، وشد عليه الأمير ثم هوى على الفارس فأرداه قتيلاً. و قاد هذه المعركة والد الأمير عبد القادر "محيي الدين".

(١) القصيدة في "آ"، ص : ٣، ٥ و: "ت"، ص :١٤٩، ٥٠ و: "ص"،ص : ٩٩، ١١٠ و"ن"، ص :٢١ ، ٢٦ واللغوب : التعب والإعياء. والثوى : النزول والإقامة.

(٢) في "ت"، جاد بالنفس والتوى:الهلاك.

(٣) في "آ"، و"ت"، وكم قد جرت طلقاً بنا في غياهب ، والجوى:الحزن الشديد.ـوالغيهب : الظلام.

(٤) المفازات : الصحارى القاحلة، جمع مفازة.

(٥) في "آ" و"ت" لذا قد غدت ،والشوى:المتلاحق، أو اللحم إذا نضج شويا. [والشوى: الأمر الهيّن] (م).

(٦) في "آ" و"ت" وما ضوء، و: انزوى، والصوى: ما يستدل به في الطريق، وهو صوت الصدى أيضاً.

(٧) في "آ" المصان.

فـــقـــالت : أيا ابن الراشـــديٍّ لك الهنَا
كفى فاترك التّسيار واحْمَدْ وجى النّوَى[(١)]

ألا يا ابْنَ خـــــلاّدٍ تطاولتَ للعُـــــلا
وبايَنْتَ مـــــاواكَ الكريمَ ومـــاحـــوَى[(٢)]

فـــمنْ أجل ذَا قَـــد شُـــدٌ في ربْعنا لهَـــا
عِـــقـــالٌ وناديـنا : لك الـعـــزٌ قـــد ثوَى[(٣)]

وحــــلٌ بـــكَـــهْـــفٍ لايُـــرام جـــنـــابُـــهُ
فـــمنْ حلٌ فـــيـــه مـــثلُ من حلٌ في طُوَى[(٤)]

فـــإنّـا أكـــاليلُ الـهـــداية والـعُـــلا
ومِنْ نشْـر علياها ذوِي المجـد قـد طَوَى[(٥)]

فنحنُ لنَا دينٌ ودنيَـــا، تَجـــمّـــعـــا
ولا فـــخــــر إلا مـــالنَـا يرفع اللّوا[(٦)]

مناقبُ مـــخــــتـــاريّةٌ قـــادريّةٌ
تسامتْ وعـبّاسـيـة مـجـدُهَا احْـتَـوَى[(٧)]

فـإن شـئتَ علمـاً تلقَني خـيْـر عـالمٍ
وفِي الروع أخـباري ـ غـدتْ ـ تُوهنُ القوَى[(٨)]

---

(١) في "أ" و"ت" يابن، وقصد بالراشدي نفسه، تثني عليه بالرأي الحصيف، الموصوف به ابوه قبله. والوجى: تعب الرجل، والمراد التعب عامةً.

(٢) في "أ" الا يا ابن خلاد، وهو الصحيح وباين، خطا مطبعي في الأصل المعتمد، و: خلاد: مبالغة من خالد ـ وباينت : تركت، وهجرت.

(٣) في "أ"، و"ت" عقالا وهو كناية عن المكوث.

(٤) طوى : الوادي المقدس الذي نزل به نبي الله موسى عليه السلام، وقد ورد في قوله تعالى : ﴿اخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ طه : ١٢.

(٥) في "أ"، و"ت" فنحن. و: علياهم.

(٦) في "أ"، و"ت" ونحن لنا.

(٧) مختارية : منسوبة إلى محمد ﷺ النبي المختار، وقادرية : منسوبة إلى الطريقة الصوفية القادرية. وعباسية : أراد بني العباس أعمام رسول الله محمد ﷺ .

(٨) في معنى الحديث النبوي: «نُصرت بالرُّعب...».

لنَا سـفنٌ بحـرُ الحـديثِ بهـا جـرَى
وخـاضتْ فطابَ الوردُ ممنْ بهَـا ارتوَى[1]
وإنْ رمتَ فـقـةَ الأصـبـحـيِّ فَـعُـجْ علَى
مـجـالسِنا تشـهَـدْ لـواءَ العنَا دوَا[2]
وإنْ شـئت نحـواً، فـانحُنَا، تلق مـا لَهُ،
غـدا يذْعِنُ البـصـريُّ زُهْداً بمَا روَى[3]
ونحنُ سـقَـينا البِـيضَ في كل مـعْـركٍ
دمـاءَ العـدا والسـمـرُ أسْعَـرتِ الجـوَى [4]
ألـم تـرَ فـي (خـنْـقِ الـنـطَـاح) نـطـاحَـنَـا
غـدَاة الـتـقـيـنَا كمْ شـجـاعٍ لـهمْ لوَى؟! [5]
وكم هـامـةٍ ذاكَ النهـارَ قـددتُـهـا
بحـدِّ حُـسـامي والقَنا طعنُه شـوَى [6]
واشـقـرَ تحـتِي كلَّمـتْـه رمَـاحُـهُمْ
ثمـانٍ ولم يشكُ الجـوَى بل ومـا التـوَى [7]
بيـومٍ قـضـى نحْـبـاً أخِي فـارتقَى إلـى
جِنَانٍ له فـيـهَـا نبيُّ الرضَـا اوَى [8]
فـمـا ارتدَّ مِنْ وقعِ السِّـهـام عنانُهُ
إلى أنْ أتـاهُ الفـوزُ راغمَ مـن غـوَى [9]

---

(١) في "أ"، و"ت" به جرت. و: ممن به.

(٢) الأصبحي هو إمام دار الهجرة مالك بن أنس الأصبحيّ (توفي ١٧٩هـ). عج: اقبل والتفت.

(٣) فانحنا: اقدم، وتمثل طريقنا. البصري : أراد الحسن البصري.

(٤) في "ت" وإنا سقينا. والبيض : السيوف. والسمر : الرماح.

(٥) خنق النطاح :المكان الذي وقعت فيه المعركة المتناولة في النص، وهو قريب من وهران وكانت بقيادة محيي الدين والد الأمير عبد القادر. و في "ت" : لها لوى.

(٦) هامة: راس ، وشوى :متتال ،متتابع.

(٧) في "أ" و "ن" جو ى ، وفي "ت" مرارا. وكلمته رماحهم :أصابته رماحهم ، والجوى :الحزن الشديد.

(٨) اراد باخي ابن اخيه احمد بن محمد سعيد الذي استشهد في معركة خنق النطاح الثانية :والبيت فيه معنى من قوله تعالى : ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ الأحزاب :٢٣ .

(٩) في "ت" يرغم من عوى. واراد باتاه الفوز استشهاده في سبيل الله والذود عن الوطن.

ومِنْ بينهمْ حمْلتهُ حينَ قدْ قضَى
وكمْ رمْيةٍ كالنَّجْمِ منْ افْقهِ هوَى

ويومَ قضَى تحتِي جوادُ برمْيَةٍ
وبي أحْدَقوا لولاَ أولُو البَأسِ والقوَى [1]

وأسيَافُنَا قدْ جُرِّدَت من جفونِهَا
ورُدّتْ إليها بعدَ وِردٍ وقدْ روَى[2]

ولمَّا بَدَا قِرْني بيمناهُ حَرْبةٌ
وكفِّي بهَا نار بها الكبْشُ قدْ شوَى [3]

فأيقَنَ أنِّي قابضُ الروحِ فانكَفَا
يُولِّي فوافاهُ حُسَامِيَ مُذْ هوَى

شَددتُ عليهِ شدةً هَاشِميَّةً
و قدْ وردُوا وِرد المنَايَا على الغوَى [4]

نزلتُ ببرجِ العينِ نزلةَ ضَيغمٍ
فزادُوا بها حزْنًا وعمَّهُمُ الجوَى [5]

وما زلتُ أرميهمْ بكلِ مهنَّدٍ
وكلُّ جوادٍ هَمُّهُ الكَرّ لا الشَّوَى [6]

وذَا دأبُنا. فيهِ حياةٌ لدينَنَا
وروحُ جهادٍ بعدمَا غُصنُه ذوَى [7]

---

(١) أولو الباس :جنوده المسلمون.

(٢) الجفون جمع الجَفْن: غمد السيف (م).

(٣) في "ت" : يشتوى، والقرن : الخصم و الكفء. والكبش هنا زعيم القوم.

(٤) في "ت" : عليهم. والغوى: الضلال.

(٥) برج العين : مكان يقع غرب مدينة وهران. وقد وقعت فيه معركة بعد معركة خنق النطاح وكان الجيش الاستعماري بقيادة الجنرال "بويه" حاكم وهران آنذاك.

(٦) الشوى: التقهقر والانسحاب، والبيت فيه من بيت عنترة:« ما زلت ارميهم بثغرة نحره..»

(٧) وأراد «بذوى الغصن» التخلي عن الجهاد، وقبول الهوان و الذل، والاستكانة.

جــــزَى اللّهُ عنّا كلَّ شـــــهم، غـــدتْ بهِ
(غــريــــسُ) لهَــا فـضلٌ أتانَا ومـا انـزوَى [1]

فكمْ أضـــرمُـــوا نارَ الوَغى بالظُّبَــا مـــعِي
وصـالُوا وجـالُوا والقلوبُ لهَـا اشْـتـوَا[2]

وإنَّا بنُو الحـــربِ العـــوانِ لنا بهَـــا
ســـرورٌ إذا قـــامتْ وشـــانِئُنَا عَـــوَى [3]

لذاكَ عـــروسُ الملكِ كـــانتْ خطيــبــتِي
كـــفـجْـــاةِ مـــوسَى بالنّبــوةِ في طُوَى [4]

وقـــدْ عَلِمَـــتْني خـــيـــرَ كفءٍ لوصْلهَـــا
وكمْ رُدَّ عنْهـــا خـــاطبٌ بالهَـــوى هوَى

فـــواصَلْتُـــهَـــا بكرًا لديَّ تبـــرَّجتْ
ولي اذعنَتْ والمغْـــتَـــدِي بالنَوى ثَوَى

وقَـدْ سـرتُ فـيــهمْ سِـيـرةً عُـمَـرِيَّةً
واسـقـيْتُ ظامـيـهَـا الهـدايةَ، فـارْتوَى [5]

وإنّـي لأرجُــــــو أنْ أكـــــونَ أنـا الـذي
ينيــرُ الدياجِي بالسَّنا بعـــدمَـــا لوَى [6]

(١) غريس : قبيلة من قبائل غرب الجزائر، وقفت إلى جانب الأمير عبد القادر في جهاده.

(٢) اشتوا: مخففة من اشتواء

(٣) في "أ" و"ت" : هالنا. الشانيء : الكاره الحاقد، والباغض.

(٤) ذهب في البيت إلى أنه فوجيء بالإمارة كما فوجيء موسى عليه السلام بالنبوة في الوادي المقدس.

(٥) سيرة عمرية : أراد عمر بن الخطاب في عدله، وحزمه وتقواه.

(٦) لوى : خمد وانطفا وطوي. والسنا: الضياء.

بجـــاهِ خـــتـــامِ المرسلـين مُـــحــــمـــدٍ

أجل نـبـيٍّ كـلُّ مـكـرمـــــــةٍ حــــــوَى

عليـــــهِ صـــــلاة اللّهِ ثم ســــلامـــــهُ

وآلٍ وصـــــحبٍ مـــــا سَـــرى الرّكبُ للوَى

ومـــا قـــالَ بـعـد السـيـر والجـدِّ منشـدٌ :

"توسَّـدْ بمهـدِ الأمـنِ قَـدْ مـرَّتِ النــــوَى"

****

ب - الغــــزل

مسلوب الرقاد(*)

[من الوافر]

ألا قـلْ لِـلَّـتِـي سـلَـبَـتْ فُـــــــــؤادي
وأبـقــــــــــتـنِـي أهـيـمُ بـكـلِّ وادِ :(1)

تـركْـتِ الـصبَّ ملتـــهـــبًــا حـــشَـــاهُ
حـلـيـفَ شـــجًى يـجــــوب بـكلِّ نـادِ(2)

ومَـــــا لِـي فِـي الـلـذائـذِ مـن نـصـــيـبٍ
تُـودّع مـنـهُ مـــــسـلـوبَ الـرقــــادِ

****

(*) قالها في ابنة عمه.

(1) مقطوعة في "أ"، ص : ١٧ و"ص"، ص : ١٣٥ وفي "أ" و"ص" وادي. يبدو أثر القرآن الكريم واضحًا في شعر الشاعر، فقوله : "أهيم بكل واد" مأخوذ من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ﴾ الشعراء : ٢٢٥ .

(2) في"أ" تركت العقل. و نادي.

دمــوع ونار[*]

[من الطويل]

إلامَ فـــؤادي بالحـــبـــيـب هَتــورُ؟!
ونارُ الجـــوَى بين الضلوع تثـــورُ؟![1]
وحُـــزْني معَ الساعـــاتِ يربُو مـــجـــددًا
وليلِي طويلٌ والمنَامُ نَفُــــــورُ
وحـــتَّى مـــتى أرعَى النجومَ مُسامـــرًا
لهَـــا ودمـــوعُ العينِ ثَمَّ تفـــورُ؟!
أبيتُ كـــأنِّي بالسِّـــمـــاكِ مـــوكَّلٌ
وعـــينِيَ حـــيثُ الجَـــدْيُ دارَ تدورُ[2]

****

(*) قالها في ابنة عمه كذلك.

(1) المقطوعة في "أ"، ص: ٥٤، و"ص"، ص: ٢٠٨، وفي "ا" و قلبي. وهتور: مولع دنف.

(2) السماك: نجم معروف، اما الجدي فهو برج من ابراج السماء.

مـنُّـوا بلقيـاكم[*]

[من الطويل]

فـإنْ كـانَ هذَا البـعـدُ تـاديبَ مـذْنبٍ
فـإنَّا بهـذا القـدر صـرْنَا على شَـفَا[1]
وإنَّا لنَخْـشَى إنْ تطاولَ بـعـدُكُمْ
يصـيـرُ لكمْ سلوَى فـلا يُرتجَى شِـفَا
فـمنُّوا بلقـيـاكمْ وإلاَّ فـلا بقَـا
وَرِيحُ الفنا تسْـفِي علينَا إذَا سـفَا[2]

****

(*) قالها في ابنة عمه كذلك.

(1) المقطوعة في "ص"، ص :٢٤٢ [وقوله «صرنا على شفا»: شفى كل شيء حَرْفه؛ يقول: إنه صار على شفا مشكلة أو مصيبة..] (م).

(2) سفا الريح الغبار: أثاره بشدة.

يتيه بدلّه عمدا (*)

[من الوافر]

أودّ بـأنْ أرى ظَبـي الصَحَـارى
وارقُبَ طيـفَـهُ والليلُ سـارِ(1)

وأطلُبَ قـربه، فـيـزيدُ بُعْـدًا
قـديمـاً من وصـالٍ في نفـارِ(2)

وهـذا الـظبيُ لا يرعَى ذِمَـامـاً
ولاَ يـرضَى مـؤانسـةً لجـارِ(3)

يتـيـهُ بدلّه ويصـولُ عـمـدًا
غنـيٌّ بـالجـمـالِ فـلاَ يُداري

امَـازِحُـهُ فـلا يرضَى مـزَاحـاً
وأسـالـهُ المراءَ فـلا يُمَـاري(4)

ويعْـتـبنِي فـيكسُـو القلبَ بَسْطًا
لأنَّ الـعـتْـبَ يطفِي حـرُّ نَـاري

فـإنْ هُوَ لمْ يَجُـدْ بالوصلِ أصْـلاً
ويُـدْنِ الـطّـيـفَ مـن سَـكَـنـي و داري

(*) موجهة لابنة عمه كالقصائد السابقة.

(1) القصيدة في "ا" ، ص:١٧ ،و "ص"، ص: ١٥٨، ١٦٠ و"ت"، ص : ٥٤، و في "ا" سارى.

(2) في "ا" من وصالي.

(3) في "ص" ولا يرعى مؤانسة.

(4) خرج الشاعر بـ (المراء) عن المعنى المعروف إلى مقتضى المغازلة وما هو بسببه من قول أو ممازحة.

أقُلْ للنفسِ : ويكِ الأ فذُوبِي
ومَوتِي فالقضاءُ عليكِ جَارِ"[1]
ويسْلُبنِي الحياةَ إذَا تبَدَى
بوجهِ في الإضاءةِ كالنَّهارِ

****

---

(١) في "أ" جاري.

بنت العم(*)

[من الوافر]

أقـــاسِي الحبَّ مِنْ قـــاسِي الفـــؤادِ
وأرعـــــــاهُ ولا يـــرعَـى ودادِي[1]

(أريــدُ حــــيــــاتَهــــا وتريدُ قـــتلِي)
بهــــجـــرٍ أو بصـــــدٍّ أو بعـــــادِ[2]

وأبكيــــهَــا فــتــضــحكُ ملءَ فـــيــهَــا
وأســــهـــرُ وهْـي فـي طيبِ الرقـــادِ

وتــعـــــمَى مـــقلتي إمّـــا تنـاءَتْ
وعـــيناهَا تعـــمَّى عن مـــرادِي[3]

وتـــهـــــجُـــرني بلا ذنـبٍ تــراهُ
فظلمِي قـــد رأتْ دون العـــبـــادِ

وأشكوهَا البـــعــــادَ وليس تصـــغِي
إلــى الـشـكـوَى وتمـكـثُ فــي ازديــادِ

وأبذلُ مـــهـــجــتي في لثمِ فـــيــهـــا
فــتـــمنعنِي وأرجعُ منه صـــادِ[4]

وأغـــتـــفـــرُ العظيمَ لَهَـــا وتُحـــصِي
عـلـيَّ الـذنـبَ فــي وقـتِ الـعـــــــدادِ

واخـــضعُ ذِلَّة فـــتـــزيدُ تيـــهـــاً
وفي هـجـــرِي أراهَا فِي اشـــتـــدادِ

(*) تغزل فيها بابنة عمه التي هي زوجته

(١) القصيدة في "أ" ص : ٣١،٣٠ و في "ص"، ص : ١٣٣، ١٣٥، و: "ن"، ص : ٤٦،٤٥ .

(٢) في "أ" بعادى. [وفي البيت تضمين قول الشاعر عمرو بن معد يكرب:

أريد حياته ويريد قتلي   عذيرك من خليلك من مُرادِ] (م).

(٣) في "أ" مقلتي إن ما راتها.

(٤) وجه الكلام أن يقال: ارجع منه صادياً، والصادي: العطشان (م).

فما تنفكُّ عنِّي ذات عزٍّ
وما انْفكُّ في ذُلِّي أنادِي
فمَا فِي الذلّ للمحبوب عارٌ
سبيلُ الحبِّ ذلٌّ للمرَادِ[1]
رضَا المحبوبِ ليسَ لهُ عديلٌ
بغيرِ الذلِّ ليس بمستفادِ
ألاَ مَن منصفِي من ظَبْي قفرٍ
لقدْ أضحتْ مراتعُه فؤادِي ؟!![2]
ومِنْ عجبٍ تهَاب الأسْدُ بطشِي
ويمنعُني غزالٌ عنْ مرادِي
ومَاذا ؟! غير أنَّ لهُ جمالاً
تملَّك مهجتِي ملك السَّوَادِ[3]
وسلطانُ الجمال له اعتزازٌ
على ذِي الخيلِ والرجُلِ الجوَادِ[4]
وهذَا الفعلُ مغتَفَرٌ وزينٌ
إذا ـ يوماً ـ أبيتُ على مَعَادِ
فإن رضيتُ عليَّ أرتْ مُحَيَّاً
بشوشاً بالملاحةِ ظَلَّ بادِ[5]

(١) في "أ" سبيل الجد.
(٢) ظبي قفر : كنى به عن المرأة.
(٣) يقال السواد للعين، ويُستعار للقلب «سويداء القلب» (م).
(٤) ذو الخيل : الفارس الشجاع، وأراد بالرجل الجواد : أن الكريم يجود للجمال بإبائه، وعزمه ويخضع له.
(٥) في "أ" ضل بادي [يريد ظل بادياً] (م).

خَليلِي !! إنْ أتيتَ إليَّ يَوْماً

بشيرًا بالوِصَالِ وبالودادِ

فنفسِي بالبشَارَةِ إنْ تَرُمْهَا

فخذهَا بالطريفِ وبالتلادِ[1]

إذَا ما الناسُ ترغبُ في كنوزٍ

فبِنْتُ العمِّ مكتنَزِي وزادِي

****

(١) الطريف : الجديد، والتليد : القديم.

جودي بطيف(*)

[من الطويل]

جفانيَ مِنْ أمِّ البنين خيالُ
فقلبي جريحٌ والدموعُ سجالُ[1]

ولو قلتُ : دمعِي قد ملكتُ فكاذبٌ
بدعوايَ بلْ ذَا غرَّةٌ وضَلالُ[2]

وبي مايزيل العقلَ عن مستقرِّهِ
فَلا تعجبُوا إن قِيل : فيه خَبالُ[3]

ومَاهِي إلا الروحُ بَلْ إن فقدتُهَا
فإنَّ بقائِي دونَها لمحالُ

أحبُّ الليالِي كي أفوزَ بطيفهَا
وارجُو المنَى بلْ قد أقول : أنالُ

أكلِّفُ جفنِي النومَ عَلِّيَ أنْ أرَى
مثالاً لها يسْرِي وليس مثالُ

فقولُوا لها : إن كنتِ ترضينَ عِيْشتي
فجودِي بطيفٍ إنْ يَعِزَّ وِصالُ[4]

فينعَم قلبي والجوارحُ كلُّه
وإلاّ فعيْشِي محنةٌ ووبالُ

****

(*) قالها مناجياً زوجته.

(1) القصيدة في "ا"، ص: ٣١، ٣٢ و"ص" ص: ٢٦٠، ٢٦١ و"ن" ص : ٥٤ وسجال : متدفقة منهمرة.

(2) في "ا" ذا عزة [و: غِرّة، بكسر الغين، أي خداع].

(3) في "ا" من مستقرة. والخبال: فاقد العقل، أو القريب من ذلك.

(4) في "ا" ترضي بعيشي [يعزّ: يصعب ويتعذّر] (م).

فراقك نار(*)

[من الطويل]

أقـــولُ لمحـــبـــوبٍ تـخـلّف من بعْـــدِي
عليـــلاً بأوجـــاعِ الفـــراقِ وبالبُـــعْـــدِ[1]

أمَـــا أنتَ - حـــقّـــاً - لو رأيتَ صـــبـــابتِي
لهـــانَ عليك الأمـــرُ من شـــدةِ الوجـــدِ

وقلْـتَ : أرَى المسكـينَ عـــــذَّبهُ الـنوَى
وأنْحلهُ - حـــقّـــاً - إلى منْتَـــهى الحـــدِّ

وســـاءَكَ مَـــا قـدْ نلتُ من شـــدةِ الجـــوى
فـقلتَ : ومـــا للشـــوقِ يرمـــيكَ بـالجـــدِّ ؟![2]

وإنِّـي ـــ وَحـقِّ الـلّـه ـــ دائـمُ لـوعـــــةٍ
ونـارُ الجـــوَى بين الجـــوانحِ في وقْـــدِ[3]

غـــريقٌ أســـيـــرُ الســـقْمِ مكْلُومٌ الحـــشـــا
حـــريقٌ بنارِ الـهـجـــرِ والوجْـــدِ والصـــدِّ[4]

غـــريقٌ حـــريقٍ هل ســـمـــعـــتُمْ بمثلِ ذا؟!
فـــفِي القلبِ نـارٌ والميـــاه على الخـــدِّ

حنينِي أنينِي زفْـــرتِي ومـــضَـــرَّتِي
دمـــوعِي خـــضـــوعِي قـد أبانَ الذِي عندِي[5]

(*) قال القصيدة في زوجته عندما كان في إسطنبول، وأرسلها إليها في بروسة، ضمنها تشوقه إليها.

(١) القصيدة في "أ" ص : ٣٢، ٣٣ و: "ت"، ص : ٥٩٥، و "ص"، ص : ١٤٤، ١٤٨ و "ن"، ص : ٤٣، ٤٤

(٢) في "ت" : أرماك بالجد. والجوى : حرقة الوجد، وشدته.

(٣) في "ت" فإني - وحق الله -

(٤) لا يستقيم الوزن إلا بتنوين ميم (مكلوم) على معنى (الحشا مكلوم)؛ ويكون قوله: مكلوم الحشا، جملة اسمية، المبتدا فيها مؤخر (م).

(٥) في "أ"، و"ت" : أبانوا لما عندي.

ومنْ عــجبٍ صــبــرِي لكلِّ كــريهــةٍ
وحَــمْلي اثقــالاً تجلُّ عن العــدِّ[1]

ولستُ أهابُ البِــيضَ كــلا ولا القنَا
بيومٍ تصـيـر الهـامُ للبِـيضِ كـالغِـمْـدِ

ولا هَالنِي زحفُ الصــفــوفِ و صــوتُهــا
بيــومٍ يشــيب الطفلُ فــيــه مع المُــردِ

وأرجــاؤُهُ أضــحتْ ظلامــاً و برقُــهُ
ســيــوفــاً وأصــواتُ المدافعِ كــالرَّعْــدِ[2]

وقــدْ هالنِي بل قــدْ أفــاضَ مــدامــعِي
وأضنَى فــؤادِي بل تعــدَّى عن الحــدِّ[3]

فــراق الذي أهواهُ كــهْــلاً ويافــعــاً
وقلبِي خليٌّ من ســعــاد ومن هنْدِ

فــحلَّتْ مــحــلاً لمْ يكنْ حَلَّ قــبْلَهَــا
وهيــهــاتَ أن يحْلُلْ به الغــيــرُ أو يجــدِي[4]

وقــدْ عــرَّفَــتْني الشــوقَ من قبلُ والهــوَى
كَــذَا والبكا ـ يا صــاحِ ـ بالقــصــر والمدِّ

وقــدْ كلَّفــتْني الليلَ أرعَى نجــومَــهُ
إذا نَامــه المرْتاعُ بالبــعــد والصــدِّ[5]

فلوْ حَــملتْ رَضــوى من الشــوقِ بعضَ مَــا
حــمَلْتُ لذابَ الصــخــرُ من شــدَّة الوجْــدِ

---

(١) في "أ"، و"ت": لأثقال.

(٢) في "ت" : سيوف وأصوات.

(٣) يقال تعدّى الأمر (دون حاجة إلى الأداة: عن) (م)

(٤) في البيت ضرورة شعرية هي عند النقاد والعروضيين ضرورة قبيحة في جزم الفعل المضارع «يحلل» وحقّه النصب بأنْ. وكلمة (يُجدي) تحتها نظر وإن ثبتت في المصادر المطبوعة كذلك.

(٥) المرتاع : الذي أصابه الروع (الخوف الشديد) (م).

ألاَ هل لهـــذَا البينِ من آخِـــرٍ؟ : فَـــقَـــدْ

تطاولَ حـــتى خِلتُ هـــذا إلى اللحْـــدِ

ألاَ هل يجـــودُ الدهرُ بعـــدَ فـــراقنا؟!

فــيــجْـمــعنَا والدهرُ يجري إلىَ الضِّــدٍّ

واشكُوكَ مـــا قـــدْ نلتُ من ألمٍ ومَـــا

تحـــمَّله ضَــعــفي وعـــالجـــه جَـــهْــدِي

لـــكـــيْ تـــعـــلـــمِي ــ أمَّ الـــبـــنـــينَ ــ بـــأنَّـــهُ

فــــراقُك نارٌ واقــــتـــــرابُك من خُلْدِ

****

أرضى بطيف خيال[*]

[من البسيط]

أحبابَ قلبيَ !! كم بيني وبينكمُ
منْ أبحرٍ وصفُها قد دقَّ عن حدٍّ !![1]

تحارُ فيها القطا، والعيُّ يدركُهَا
حتىَّ الجهاتُ بها تَخْفى عنِ القصْدِ

مَا كنتُ أدري بأن الدهرَ يبعدكمْ
عنِّي ويتركني - من بَعدكم - وحْدي

قَدْ خانني الصبرُ ما أجدَى بمنفعةٍ
سيلُ المدامعِ قدْ سالتْ عَلى خدِّي[2]

والطَّيف مثَّل لي أوصافَكم فبدا
بشْرَى ومذْ قمتُ غير الحزنِ ما عندي[3]

هلِ الغزالُ الذي أهواهُ يسْعفني
بالوصل يوماً كما قدْ كانَ في العَهْدِ ؟

هل النفورُ الذي أهواهُ يسْعدني
بالقربِ من بعدِ ما أبدَى من الصدِّ ؟

يا ذَا النُّفور الذي في القلبِ مرتعُهُ !
ارتَعْ به لا تُرَعْ فالصبُّ في بُعدِ

إنِي وإن كنتَ منِّي نافرًا فلقدْ
أرضَى بطيفِ خيالٍ منك لا يجدِي

****

(*) أرسل هذه القصيدة إلى ولده في بروسة، و هو في باريس بعد إطلاق سراحه، ورحلته الأولى إليها في ١٢٧١هـ.

(١) القصيدة في : "أ"، ص : ٣٢، و"ت"، ص : ,٥٩٤ و"ص"، ص : ١٣٧،١٣٨ وفي :"أ"، و"ت" قد صين عن حد، وهو من صان يصون بني للمجهول.

(٢) في "أ"، و"ت" سوى المدامع.

(٣) أي قمت من النوم. ولـمّا صحا ذهب عنه طيفُها فاغتمّ لذلك (م).

ذات خلخال(*)

[من الطويل]

خليليَّ ! وافتْ منكمُ ذاتُ خلْخَالِ
تَثنيهُ على شمسِ الظهيرَةِ بالخالِ[1]

تميسُ فتُزْري بالغصونِ تمايلاً
تروحُ وتغدُو في بُرودٍ منَ الخالِ[2]

لهَا منطقٌ حلوٌ به سحرُ بابلٍ
رخيمُ الحواشي وهو أمضى منَ الخالِ[3]

موشَّحةٌ من طرْزكمْ ببدائعٍ
محجَّبةٌ عن كلِّ ذي فطنةٍ خالِ[4]

وكسْوتُها النعماءِ مِنْ كلِّ محسنٍ
يصُدُّ لمرآهَا الشجاع كما الخالِ[5]

(*) القصيدة جاءت معباة بالبديع مجاراة من الشاعر للشاعر داوود البغدادي الذي مدح الأمير بقصيدة طافحة بالبديع مطلعها :

جاءت مبشرة الأحباب بالبشر
حييت فأحييت بنشر ميت البشر
صبت على الصب أنواع التفضل إذ
سرت فسرت معنى بالغرام سري

وهي في "آ"، ص :٣٧ ، ٣٨ و"ص"، ص : ٢٦٢، ٢٦٦ . [وقد سمّى المعلم بطرس كرامة قصيدته التي تنتهي بكلمة «الخال» باسم القصيدة الخالية، وباسم القصيدة ذات الخال «راجع: سجع الحمامة ص ٣٢٢ وص ٣٦١» ولا شك أن أصداءها كانت في أذني الأمير عبدالقادر، فادلى بدلوه للمعارضة ولإثبات التمكن أيضاً] (م).

(١) الشامة، أو الخيلاء. وذات خلخال كناية عن قصيدة البغدادي التي مدح بها الأمير.

(٢) الخال برد يماني. وتميس : تتعطف، وتتمايل.

(٣) الخال هنا : البرق، وبابل مدينة قديمة بالعراق يضرب بها المثل لجمالها.

(٤) خالي البال، والبدائع المحجبة : المواهب المختلفة.

(٥) الخال : الجبان الرعديد وهي من الأضداد.

فـمَـا نسجُ داوودٍ كنسجِ عناكبٍ
ولا الغادةُ الهيفاءُ تزهُو بخلخالِ[1]

ومـا عيبُـهَـا إلا التـغـرُّب في الـوَرَى
فلـم تلـقَ منْ أُختٍ لـهـا لاَ ولا خـالِ[2]

اتثْنِي علـى بعـدٍ ولم يثنِ عـزمـهَـا
مـهَـامِـهُ فـيحٌ لاَ ولاَ سطوةُ الخـالِ[3]

تعـسـفتِ الفـيـفـاءَ في غـسقِ الدجَى
فكمْ قطعتْ نهـرًا من الخـيلِ والخـالِ[4]

أتتنِي ـ فـدتْهـا النفسُ ـ في حـينِ غـفلةٍ
فـقلتُ لهـا: أهلاً فـذا وقـتُنا خـالِ[5]

وافـرشـتُـهـا خـدِّي وقلتُ لهـا : طَئِي
فـلاَ تحـسـبِي خـدِّي عليك بذِي خـالِ[6]

ولمَّـا تـطـارحـنَـا الأحـاديـثَ بـيـنـنَـا
وأحلَـى تلاقِي الخلِّ بـالمنـزلِ الخـالِ[7]

وعنكمْ غـدتْ تُنْبِي بمَا أنتَ أهْـلهُ
وإنَّ ودادِي اليـومَ أرْسَى منَ الخـالِ[8]

(١) اسورة تلبس في ساق المراة، والبيت فيه تمثل قوله تعالى: ﴿وعلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ الانبياء: ٢١.
(٢) اخو الأم.
(٣) الشجاع. والمهامه : جمع المهْمَه والمهمه: المفازة البعيدة.
(٤) الفيفاء: الفلاة. الغسق: شدة ظلمة الليل .الخال: الفارس.
(٥) وقتنا خال : فارغ.
(٦) بذي خال : اختيال. والمراد انه لا يتمنَّع من ذلك بل يبادر إليه (م).
(٧) المنزل الفارغ.
(٨) ارسى من الخال : الجبل العظيم.

وابثـثـتُـهـا وجْـدي ومـا بينَ أضلعِي

منَ البـعـدِ والأشـواقِ والدمْع كـالـخـالِ[1]

وحـدثـتُـهـا عن لوعـتي وتحـرُّقِي

وقطعِ الليـالِي بالتـأملِ كـالـخـالي[2]

تكادُ لِذكْـراهُمْ تذوبُ حُـشـاشـتِي

ومـالـي سـواهـمْ مِنْ وليٍّ ولا خـالِ[3]

ولـولا الأمـانِي كـنـتُ ذبـتُ مـن الأسَـى

أقـولُ : كـئـيبٌ نـال ذلك مِنْ خـالِ[4]

أروِّحُ نَفْـسِي بالأمـانِيِّ راجـيًـا

سـمـاحـةَ دهرٍ ضنَّ يرجعُ كـالـخـالِ[5]

****

(١) والدمع كالخال : المطر أو السحابة الماطرة.

(٢) بالتامل كالخال : الملازم للشيء لا ينفك عنه.

(٣) ولاخال : الأمير، والحشاشة : بقية الفؤاد.

(٤) من خال:من ضعيف القلب.

(٥) يرجع كالخال: الرجل السمح الكريم. وأروح: أخفف من الهموم. وضن : بخل..

ليس للحب دواء(*)

[من الطويل]

سألتُ رجالَ الطبِّ أخْبَرَ كلُّهمْ
وهم أهلُ تجريبٍ وأهلُ ذكاءِ :(١)

بأنَّ سقيمَ الحبِّ هيهاتَ ! مالهُ
دواءٌ إذا ما الحبُّ أصبحَ نائِي(٢)

عسَى ولعلَّ اللّه أنْ يبردَ الأسَى
فإنَّ رجاءَ الوصْلِ بعضُ دواءِ

ولوْ لمْ يكنْ للعاشقينَ تقرُّبٌ
لوقْتِ وصالٍ مابقُوا لمِسَاءِ !

وإن دامَ هجرُ الحب أو زادَ بيْنُهُ
فَذلك داءٌ لم يَزُلْ بشفاءِ

وفي مَن مضَوا في شرعةِ الحبِّ والهوَى
لهُ أسوةٌ فليصْبِرنْ لِبلاءِ

****

(*) قال المقطوعة إجابة عن سؤال طرح في مجلس من مجالس الأمير بفرنسا وهو: "هل للحب دواء"؟.
فاختلف في شانه، فمنهم من عده مرضاً ومنهم من عده طبيعة، وكتب الشيخ الشاذلي أبياتًا في الموضوع وبعث بها إلى الأمير، ومطلعها:

«يا أهل فن الطب بالله خبروا
أيوجد للصب النحيل دواء؟!
نهكت سقاماً لم أجد لي شافياً
فقلبي من غير الخليل هواء»

فرد عليه الأمير بـ" ليس للحب دواء ".

(١) في "أ" رجال الحب..

(٢) حقّ العبارة أن تكون «أصبح نائياً» من جهة النحو. وفي «الحب النائي» هنا غرابة. والمراد – كما يمكن أن نستظهر – : الحب حين يوغل في النفس، ويتغلغل عميقاً (أو بعيداً) في القلب (م).

باللحظ تخدش وجنة (*)

[الطويل]

أقولُ لقومٍ لاتفيدُ نصيحتِي
لديهمْ ولوْ أبديتُ كلَّ الأدلَّةِ :[1]

ألاَ فاتركُوا وردَ الخدود وشأنَهُ
فتخديدُكمْ في الخدِّ أقبحُ فِعلةِ[2]

أيعمدُ ذُو لبٍّ لخدٍّ مورَّدٍ
ويقسِمهُ عمْدًا إلى شرِّ قسْمةِ

ومادحُ شرطِ الخدّ في السُّودِ صادقٌ
وأمَّا بخدِّ البيضِ فالقبحُ عمدتِي[3]

أما يخْتشِي مِنْ أن يكون مخدَّدًا
ويدْخلَ في مَنْ حازَ أفظعَ قولْةِ[4]

فباللَّحْظِ لا الموسَى تُخدِّشُ وجْنةٌ
فياويلتَا منهُ ! وياطولَ حسرتِي !

وإنِّي لأهْوَى كلَّ خدٍّ مورَّدٍ
زهَا قطُّ لم يمسَسْهُ موسَى بخدْشَةِ[5]

(*) جرى حديث عن الخدود المشرطة في الطائف ايام كان الشاعر هناك في عام ١٢٨٠هـ لأداء مناسك الحج فذكر بعض الأدباء في جلسة من الجلسات أبياتًا في ذلك، ومنها:

«رأيت لها شرطاً على الخد قد حوى
جمالاً وقد زاد الملاحة بالقرط

فقلت: مرادي اللثم، قالت بخلوة
فقبلتها ألفاً على ذلك الشرط»

فاستهجن الأمير ذلك ورد بقصيدته «باللحظ»

(١) القصيدة في : "ت"، ص : ,٧٠١ و "ص"، ص : ١٢١، ١٢٢ .

(٢) التخديد: الشق، واراد الشرط، والتشريط الموصوف في البيتين المذكورين في حاشية القصيدة (م).

(٣) في "ت" : بالسود.

(٤) يختشي : اراد يخشى، وهي عامية اقتضاها الوزن.

(٥) بعد (زها) وقف تام (م).

ج - مساجلات

متى ينقلب نحسي(*)

[من البسيط]

أُخَيَّ ! نلتَ الذي قدْ كنتَ تطلبهُ
وفزْتَ دوني بمَا ترجُو وترغبُهُ[1]

وساعدتْكَ الليالي لا شقِيتَ فدُمْ
قريرَ عينٍ بوصلٍ ليس تُسْلَبُهُ [2]

قد طابَ في طيبةَ الغرَّا مقامُكمُ
جوارَ محبوبِنا مَنْ كنتَ ترقبُهُ

ياهلْ ترى ! مثلمَا فزتُمْ أفوزُ ؟ وهلْ
تعلو سُعودِي على نحسِي فتقلُبُهُ ؟!

****

(*) الأبيات بعث بها الأمير عبد القادر إلى كاتبه "قدور بن رويلة" بعدما أطلق سراحه من السجن وتوجه إلى المدينة المنورة.

(1) الأبيات في"أ"، ص : ١٢، و"ت" ، ص : ٤٦١ و"ص"، ص : ١١٧

(2) في "أ" لست تسليه، وكذلك في "ت".

أهلاً بالحبيب(*)

[من الكامل]

أهلاً وسـهـلاً بالـحـبـيـبِ القـادمِ
هذا النهارُ لديَّ خـيـرُ مـواسمِ [1]

جـاء السـرورُ مـصاحـبـاً لقـدُومِـهِ
وانْزاح مَـا قـدْ كـان قـبلُ مُـلازِمِي

أفـديكَ بالنفسِ النفـيـسـةِ زائرًا
من غـيـرِ مَـامنٌ ولستُ بنادمِ

طالت مُـسـاعلتِي الرُّكـابَ تشـوُّقـاً
لجـمـالِ رؤيةِ وجـهكَ المتـعـاظمِ

لاغـروَ إن أحـبـبْـتُكمْ من قـبلِ مَـا
شـاهـدتُكمْ أنتمْ جـمـالُ العَـالَمِ

كـانتْ على سـمـعِي تغـارُ نواظرِي
حـتَّى رأيتُك أنتَ أنتَ مكالِمِي [2]

عندِي الأيادِي البـيضُ حـيث أرَيْتَنِي
مـا كـانَ قـبـلاً في يقينِ العـالمِ

والآن صـرْتُ منَ اليـقين بحـقِّـهِ
وبعـيـنِه أنَّ السـرورَ منادمِي

أ ستَـمِيُّ قطبِ العـارفين ! لكَ العُـلا
مـتـبـوئًا منه أجلُّ مـعـالمِ

(*) عندما سمح الفرنسيون لبعض علماء المغرب العربي بزيارة الأمير في قصر أمبواز قرب باريس، زاره "محمد الشاذلي القسنطيني"، وهو قطب من أقطاب الصوفية، واستقبله الأمير بالقصيدة هذه.

(١) القصيدة في "أ"، ص : ١٨، و"ت"، ص : ٥٣٣، و"ص"، ص : ٢٨٧، ٢٨٨ .

(٢) في "ت" حتى رأيتك وأنت.

انت الذِي في الفــضلِ اصــبحَ مــفــردًا

لِعـــلاه مَـــا مِنْ مُـــدّعٍ ومُـــزَاحمِ

لا زلتَ مــيــمــونَ النقــيــبــةِ طالعــاً

بـالســعْــد ذا فَــضْلٍ وخِــدْنَ مكارمِ [1]

****

(١) في "ت" النقية طالعةً والنقيبة : العاقبة. و الخدن : الصاحب. وقد رد الشاذلي على القصيدة بابيات مطلعها :

«ســــلام عـلـيكم طـال شـــوقـي إلـيكم

وقـلـبـي ســـواكم فـي الـبـــرية مـــا أحب».

انظرها في "ت"، ص : ,٥٣٣ و"ص"، ص : ٢٨٨، و"ح"، ص : ٨٦، وفي "أ" ، ص : ١٨

لا يأبى الكرامة إلا(*)

[من الطويل]

نعمْ ولكُمْ فضلٌ بأشرفِ دعوةٍ
غدوتُ بها - يا صاحِ - منشرحَ الصدرِ (١)

وقد قيلَ : لا يأبى الكرامةَ غيرُ منْ
له عرقُ لؤمٍ لم يزل في الخنَا يسرِي (٢)

لمجلسِكمْ أعلى الكرامةِ عندنا
ولفظكُم أشهَى إلينا من الدرِّ

ورؤيتُكم أجلى لهمِّي وإنني
غنيتُ بها عن طلعةِ الشمسِ والبدرِ

عليكَ تحياتُ القبولِ تكرُّماً
أيا واحدًا - عندِي يعدُّ - بذا العصرِ

****

(*) دعا الشاذلي الأمير إلى سمر ودبج الدعوة شعراً انظرها في "ت"، ص : ٥٣٣، ٥٣٤، و"ص" ، ص : ١٦٢ فاجابه الأمير بالقبول مع الشكر بالمقطوعة.

(١) الأبيات في "أ"، ص : ١٩، و"ت"، ص : ٥٣٤ و"ص"، ص : ١٦٢

(٢) في البيت معنى القول المأثور : "لايأبى الكرامة إلا اللئيم"، والخنا: الفحش والفساد.

نعمة الشفاء(*)

[من الطويل]

خليليَ ! قل : لِي كيف أمسيتَ ؟! إنني
تحملتُ حزناً منكَ يعيَا له رَضْوى (١)

لقد مرضتْ أرواحُنا وجسومُنا
لشكواكمُ يا ليتَ لا كانتِ الشكوى

فلا تبغِ إتلافي فما ليَ طاقةٌ
على الصبر - يا روحي - ولستُ له أقوى (٢)

وإنِّي لأرجُو نعمةَ اللّه بالشِّفا
عليكَ لتحظَى بالسرورِ كما تهوى (٣)

****

(*) الأبيات قالها الشاعر عندما عاد صديقه محمد الشاذلي في مرضه ، فلم يجده في بيته، وتركها له في المنزل.

(١) الأبيات في "أ"، ص :١٩، ٢٠، و : "ص" ، ص : ١٠٩ [و «رضوى» اسم جبل مشهور يُضرب به المثل] (م).

(٢) في "أ" ولست لها.

(٣) في "أ" ينعم بالشفا. وقد رد الشاذلي على الأبيات باخرى أولها:

«بخير لقد أمسيت والقلب شيق
للقياكم شوق المحب لمن يهوى».

انظرها في المراجع المتقدمة.

ياقرة العين[*]

[من البسيط]

يا قـرةَ العينِ ! قل لي : كـيف بتَّ ؟! فـقـدْ
ـ واللّهِ ـ بتُّ وقلبي في لظَى الحَـزَنِ [1]

ممَّا عـراكمْ عـسىَ فـيـه أقـاسِـمكمْ
أو حـمْلُهُ كلهُ لو كـان يُمكِنُني

حـتَّى يتمُّ لنا من وصلكُم غـرَضٌ
قـدْ طالَمَا كنتُ راجـيـهِ منَ الزمنِ [2]

****

(*) ابيات بعثها الامير إلى الشاذلي صديقه يساله فيها عن صحته..

(١) الأبيات في "ا"، ص : ٢٠، و "ت"، ص : ٥٣٤ و"ص" ، ص : ٣٠٢ .

(٢) في "ا" راجية من الزمن. وفي "ت" قد كنت أمله من سالف الزمن..

الشوق يكتمه الأريب(*)

[من الوافر]

بُنَيَّ! لئنْ دعاكَ الشوقُ يوماً
وحنّتْ للُّقا منّا القلوبُ (١)

ورمتَ بأنْ تنالَ منّي و وصلاً
يصحُّ بُعَيدَهُ القلبُ الكئيبُ (٢)

فإني منكَ أولى باشتياقٍ
وناري في الفؤادِ لها لهيبُ

وإن أخفِي اشتياقِي في فؤادِي
فإنَّ الشوقَ يكتُمُهُ الأريبُ

****

(*) مع غياب الشاعر الطويل لانشغاله بالجهاد، راسله ابنه باسم الأسرة متشوقاً إليه فرد على ابنه بهذه الأبيات.

(١) الأبيات في"أ"، ص: ١٢، و: "ت" ٤٦٠، و "ص" ص: ١١٨، و "ن"، ص: ٤٨ .

(٢) في "ت" سنا ووصلا.

لا تعجل بلومك(*)

[من الطويل]

فديناك لا تعجلْ بلومكَ و انتظرْ
و حقِّك إن العَتْبَ للقَلْبِ أوجَعُ (١)

لعلَّ لنا عُذرًا يدافعُ عتبنَا
وصدرُكَ في تلك المعاذيرِ أوسعُ

وإنَّ منَ الأعذارِ ما ليس ذكرهُ
يليقُ ومنه مُهجتِي تَتَقطَّعُ

ولستَ غريباً بين قومْ احبةٍ
مكانُكَ فيهم من بنِي الدهرِ ارفعُ

فكمْ من حزينٍ من بلائِك وآلهِ
يبيتُ على فرْشِ الضنَا يتوجَّعُ

وجمْعِي بكم يبقون جمعَ سلامةٍ
بدارٍ بها ما للتفرُّقِ منزَعُ (٢)

وجئت بـ "لولاَ" فاعلاً لجوابهَا
على أنَّها في النحوِ قد قيل تُمنعُ

وإن كنتَ لسَّاعاً فكنْ خير حيَّةٍ
وكنْ نحلةً ترياقُها السمِّ يدفعُ (٣)

****

(*) رد بها على عتاب صديقه الشاذلي الذي مرض ولم يزره، و الذي كشف عنه في ابيات بدايتها:

" مرضت غريباً بين قوم اعزة
فكلهم عن زورتي مُتمنِّعُ " .

وهي في المصادر نفسها التي فيها أبيات الأمير.

(١) القصيدة في : "ا"، ص : ٢١، و "ت"، ص : ٥٢٥، و"ص" ، ص : ٢٣٠، ٢٣١ و في "ا"، و"ت" واصطبر.

(٢) وجمعي : قصد جميع إخوانه.

(٣) في "ا" غير حية.

لا ندم ولا ملامة(*)

[من الطويل]

خليليَ ! لا تندمْ على العتبِ للحبِّ
فإنَّ خفيفَ الحبِّ أنفعُ بالطبِّ [1]

فما ذاكَ مكروهٌ ولا بمحرَّمٍ
بشَرْعِ الهوى بل ذاك فرضٌ على الصبِّ

سبيلُ الهوى : هجرٌ ووصلٌ و فرقةٌ
وجمعٌ وخُلْفٌ بالزيارة والعتبِ

وهذي دواعٍ للعتابِ كثيرةٌ
لذَا كانَ طولُ العتبِ الزمَ للحبِ

وقد قيل : يبقى الودُّ ما العتبُ باقياً
فللّهِ ما أحلَى مقالَ ذوي اللبِّ [2]

"إذا لم يكنْ في الحبِّ سخطٌ ولا رضَى
فأينَ حلاواتُ الرسائلِ والكتْبِ" ؟! [3]

واطيبُ أيامِ الهوى يومكَ الذي
ترَوَّعُ بالتعْنيفِ فيهِ وبالسبِّ

(*) اثر رد الأمير على عتاب الشاذلي، فرد عليه الشاذلي نادماً في أبيات أولها :

"سلام يفوق المسك و الندّ عَرْفُه ... يعم حمى قوم كرام المحافل"

إلى أن يقول :

"ندمت على ما كان مني ونادم ... عقيب وقوع الفعل ليس بفاعل"

فلما قرا الأمير ندم الشاذلي خفف رده على ندم الشاعر بالقصيدة "لا ندم ولا ملامة".

(١) القصيدة في "أ"، ص : ٢٢، و"ت"، ص : ٥٣٦ و"ص"، ص : ١١٥ وفي "ت" خفيف العتب.

(٢) لي "أ" و"ت" ما العتب قد بقي، [وفي البيت إشارة إلى قول الشاعر (اللسان ع ت ب):

إذا ذهب العتاب فليس ودٌ ... ويبقى الود ما بَقي العتابُ

ويقول الأمير عبدالقادر «ما العتب باقياً» فمن جهة النحو «ما» هذه تعمل عمل ليس وتفيد النفي وتسمى الحجازية. ومراد الشاعر «ما» المصدرية الظرفية. فهو يقول: إن الود يبقى ما دام هناك عتاب] (م).

(٣) البيت مضمّن (م).

يا كثير البعد[*]

[من مجزوء الرمل]

يــــا مــــلـــولاً لا يُــــمَـــلُّ
كـــيفَ كــــان اليــــوم حــــالُكْ [(١)]
يا كــــثــــيــــرَ البـــعْـــدِ عنّا
كــــان كـــالغـــدْر ارتحــــالُكْ
كــنْــتَ مِــن ذا فـــي أمـــــــانٍ
فـــبـــدا اليـــومَ مـــحـــالُكْ [(٢)]

****

(*) تحسنت صحة الشاذلي فغادر المستشفى دون علم الأمير، فلما عاده ولم يجده بعث إليه بهذه الأبيات.

(١) الأبيات في "أ"، ص : ٢٢، و"ت"، ص : ٥٣٦، ولم تثبت عند صيام. وفي "ت" لا يمل، وأثبتنا ما فيه.

(٢) وقد رد الشاذلي على الأبيات بأخرى عن الأمير، وهي مثبتة في المصادر المتقدمة، [ومحال مصدر ماحله اي كايده وعاداه] (م).

ترك العادة ذنب(*)

[من الطويل]

سـلامٌ عليكمْ دائمٌ مـتـتـابعٌ
له نفـحـة من دونهَـا المسكُ والعطرُ(1)

وبعـدُ لعُـذرٍ قـد قطعْنا عـوائدًا
تعـوَّدْتَهـا ياأيهـا الماجـدُ الحـرُّ!

وإلاَّ فـإثبـاتُ الرغـائبِ شـرعُنا
نرى تركَـهـا ذنبًـا له يُطلبُ الغـفـرُ

ولو انني قـاسـمـتُكمْ كلَّ مـالنَا
كمـا قـالَه الأنصـارُ والفـاضِلُ الحَـبـرُ(2)

لما جـئتُ في مـعـشـارِ عـشْـرِ حـقـوقكمْ
ولو كـانَ ذا شـيـئـاً يؤدَّى به شكرُ

****

(*) اعتاد الأمير دعوة أصحابه إلى طعام حتى عوّدهم ذلك، ثم تخلى عن تلك الدعوة فعاتبه الشاذلي في ذلك، الأبيات تبدأ بقوله:

«فرضتم عليكم للمتيم سنة　　　تؤدونها بعد الفراغ من الفجر»

فرد عليه الأمير بأبياته المعنونة بـ «ترك العادة ذنب».

(1) الأبيات في "أ"، ص : ٢٣، و"ت"، ص : ٥٣٧، "ص"، ص : ١٧١ .

(2) الأنصار : أراد موقف الأنصار من المهاجرين في المدينة المنورة.

الجوع برّاني(*)

[من الطويل]

أمـــا آن للـخـلِّ المريـض بـأنْ يبــــرَا ؟!
فـإنَّ صـحـيـحَ الجـسـمِ منه شكا الضـرّا(١)

تـوالتْ عليـــه جــوعــةٌ بعـــد جــوعــةٍ
أخــوكمْ لهـا قــد صــارَ كـالقلمِ المـُبـرَا(٢)

بـهِ وكّل الجــــــوعُ المعـطلُ للقُـــــوى
فللّهِ مـــا أنكاهُ فــينَا ومـــا أجْــــرَا !(٣)

إذَا نمتُ أمــسى لِي ضــجــيــعــاً مــلازمــاً
وإن قـــمتُ أضــحَى كـالـغــريمِ بنا مُــغــرَى

وقـــــدْ عــــشتُ أيـامــــاً بظلِّ جنابكمْ
فللّهِ عــــيشٌ مـــا ألذَّ ومــــا أمْـــــرَا !

إلَـى أنْ دهـانَا الـدهـرُ يـومــــاً بجــــدِّهِ
بـعــــاداتِ بَيْـن مـــا أحــــدَّ ومـــا أفــرَى !(٤)

(*) التزم الشاذلي بالحمية طلباً للشفاء من مرضه فتضامن معه الأمير تخفيفاً عنه، ولما طال الأمر، اشتكى الأمير ذلك إلى صديقه الشاذلي داعياً له بالشفاء العاجل حتى يحرر من الحمية التي اتعبته، [وعبّر الأمير عن ذلك تعبيراً لطيفاً نثراً ونظماً في تحفة الزائر: ٥٣٧] (م).

(١) القصيدة في "أ"، ص : ٢٣، ٢٤ و"ت"، ص : ٥٣٧، و"ص"، ص : ١٦٦، ١٦٧

(٢) يريد: كالقلم المبريّ والفعل منه: برى - يبري.

(٣) في "ت" المضعف للقوى و: أنكاه : ما أشده [ما أجرا، مسهلة الهمزة وأصلها: ما أجرأ. ثم حذف الهاء: ما أجراه] (م).

(٤) في "ت" بحده، وافرى، : قطع. وقد رد الشاذلي على قصيدة الأمير بأبيات هذا مطلعها :

«خليلي لا تجزع من الجوع إنه   إلى كل معتل هو الغاية الكبرى»

وهي مثبتة في مصادره المعتمدة هنا.

فـــفـــرَّقَنَا جـــمـــعًـــا وكـــدَّر صـــفـــونَا

وجـــوَّعنا جـــوعـــاً فَـــقَـــدْنا له الصَّـــبْـــرَا

فـــإن شـــئتَ فلتـــبـــرَا لـعلَّكَ مُـــدركِي

وإلاَّ فـــإن الجـــوعَ قـــد هيـــا القـــبْـــرَا

بـهـــذَا أشـــارَ النـاصـــحـــونَ لعلكمْ

تَـرِقُّـــونَ أو تـاتِـي لنـا منكمُ البـــشْـــرى

****

زكاة العلم(*)

[من البسيط]

أتتْ مهنئةٌ فليهنَ مهديها
جلَّتْ تراكيبُهَا دَقَّتْ معانيهَا[1]

تدلُّ بالحسنِ والإدلالُ حُقَّ لهَا
فما حوتْ مثلهَا يوماً مغانيهَا[2]

ودبَّ في الجسمِ من أنفاسِهَا طَرَبٌ
دبيبَ حبِّي لهذا الخيرِ مُنشِيهَا[3]

لِيَهْنِنَا بكَ عيدٌ أنتَ شاهدهُ
عيدُ النفوس إذا نالتْ أمانيهَا

يا يوسفُ رُدَّ لي من قربكمْ نظرًا
كردِّهِ بقميصٍ أنتَ مهديهَا[4]

لينشرحْ صدرُكَ المملوءُ من حِكَمٍ
وطيِّبِ النفسِ: شَهِّيهَا ومنِّيهَا

(*) نظم الأمير قصيدة "زكاة العلم" إجابة لـ "يوسف بدر الدين المغربي"، الذي نظم قصيدة شكر فيها الأمير على شرائه دار أوقاف كان قد استوطنها "يوسف"، واغتصبها منه رومي ادعى أنه مالكها، فاشتراها الأمير، ووقفها من جديد، وسلمها للمغربي يوسف، ومطلع قصيدة يوسف:

«بك المسرة قد نالت أمانيها
يا نعمة ما لها شيء يدانيها

إن كان عيداً لها تهنا بموسمه
فالعيد كونك يا أقصى أمانيها»

(١) القصيدة في "أ"، ص : ٣٨، و"ت"، ص : ٦١٦، ٦١٧ و"ص"، ص : ٣١٥، ٣١٦

(٢) المغاني جمع المغنى وهو المنزل والدار. يقول: هي قصيدة لا نظير لها حُسناً (م).

(٣) في "أ"، لهذا الخير.

(٤) اراد رد بصر يعقوب بقميص يوسف عليه السلام.

فـــانـتَ بـين أخِـــلاّءٍ لـهـمْ أربٌ
تبـقَى وإن مـاتَ قـاصِيـهـا ودانيـهَـا[1]
ولتـغْطِنا من زكـاةِ العلمِ واجـبـةٌ
أنتَ المشـيِّـد دارَ العلمِ بانيـهَـا
أبقـاكَ ربُّ الـعـلا في نشـر حكمـتِـهـا
رغـمًـا لأنفِ مـعـاديهـا وشـانيـهَـا[2]

****

(١) أرب : غاية ومطلب.

(٢) في "ت" لنشر حكمته.

أنا مخلص للود شاكر(*)

[من الكامل]

أحلَى المديحِ مديحُ خلٍّ فاخرِ
أقوالهُ تنبي كدرٍّ باهرِ :(1)

عمَّا أجنَّ من الودادِ جنانُهُ
ألفاظهُ تتْرَى كشَهدٍ قاطرِ(2)

تكسُو الملاحةُ والطلاوةُ وجهَها
فالودُّ من أرجائِها كالعاطرِ

يا صاحِ ! خاتمة الأفاضلِ كُلِّهمْ
من كلِّ شهمٍ كاتبٍ أو شاعرِ

عندِي لكمْ بينَ الضلوعِ مودةٌ
محفوظةٌ ومصونةٌ للغابرِ

كنْ كيف شئتَ فأنتَ أنتَ أمينُها
ما بيَن بادي عُرْبِها والحاضرِ

الدُّرُّ إلا ما أتانَا منكُمُ
أنا مخلصٌ للود، أولُ شاكرِ

****

(*) للشيخ امين الجندي ، مفتي الشام، قصيدة في مدح الأمير، وصدرها:

«أمولاي يا من غدا مفـردأ — بمجد له الله قدرا أهلّـه
ويا سيد الناس في عصره — وأوفى كريم لمـن أمّلـه»

فلما اطلع عليها الأمير رد عليه بمقطوعة «انا مخلص للود شاكر» [وفي «تحفة الزائر» ٢: ٦١٨-٦١٩ أن هذه المقطوعة رد على قصيدة الشيخ امين الجندي التي مطلعها:

دار الأمير الشهم عبدالقادر — كهف الدخيل وملجأ للحائر] (م).

(1) المقطوعة في "أ"، ص : ٣٩، و"ص"، ص: ٢٠٥، ٢٠٦ وفي "ت"أقواله تزري بدر، [ورواية تحفة الزائر أعلى وأحسن] (م).

(2) أجن : أخفى. وتترى : متتالية.

أنفاس أحبابي تحييني

[من البسيط]

بديعـــةُ الحـــسنِ بالأضـــحَى تهنينِي

تزهُو بحـــسنٍ عَـــلاً من غـــيــر تزيينِ(١)

تميسُ كـــالغـــصن إذ مـــرَّ الشـــمـــالُ بهِ

أو شـــاربٍ ثَملٍ منْ خـــمـــرِ دارينِ(٢)

تراه نشـــوانَ إذ دبَّ الشـــمـــولُ بهِ

يميـلُ من طربٍ مـــيـــلَ الرياحـينِ

هيـفـاءُ يبـدو لنَا منْ وجـهـهـا قـمـرٌ

من سُـحْبِ فـاحـمِـهـا بانتْ بتلوينِ

ترمِي بالحـاظهـا عن قـوسِ حـاجـبـهـا

تصـيـبنِي ثمَّ تسـبـيني وتكوينِي(٣)

وقـد بدتْ لي طلوعَ الشـمسِ مـسـفِـرةً

فطالَ تردادُ عـيني بين شـمْـسينِ(٤)

(*) امتدح "مصطفى شلبي البغدادي" الأمير في عيد الأضحى لما بينهما من صداقة ومحبة، فرد الأمير على البغدادي بقصيدته "أنفاس أحبابي تحييني".

(١) القصيدة في "أ"، ص : ٣٩، ٤٠ و"ت" و"ص"، ص : ٣٠٣، ٣٠٥ ومعنى البيت يشير إلى قصيدة الشاذلي المهنئة بالعيد.

(٢) في "أ" درايتي، والشمالية : الريح القادمة من الشمال، ودارين : قرية في البحرين يجلب إليها المسك من الهند وكان يباع فيها الخمر.

(٣) في "أ"، و"ت" تسبيني وتلويني. وقد شبه اللحظ بالسهم والحاجب بالقوس والنظرة اللاحقة بانطلاقة السهم عن قوسيه تصيبه فتجرحه وتكويه.

(٤) قارن بين الشمس الحقيقية وحبيبته المشرقة، فاحتار بينهما تاملاً وإعجاباً، [في هذا البيت والبيت الثالث عشر عيب في القافية وهو اختلاف حركة ما قبل الياء أو الواو وهو: سناد الحذ] (م).

ولستُ أدري أسكري من نوافجها
أم تلكَ أنفاسُ أحبابي تحييني ؟![1]

أحبتي ! لكُمُ صفو الودادِ كما
محضتموني وُدًّا ليس بالدونِ[2]

لاَ زلتمُ مَنْهَلاً تحيا العطاشُ بهِ
ومنزلاً لعفاةِ الخلق في الحينِ[3]

أحيا إلهي أحبائي وزادَ لهمْ
فضلاً وأنزلهمْ أعلَى العليِّينِ

واحفظْ إلهيَ ما أوليتهمْ كرماً
وقرَّ أعينهمْ : دنيا مع الدينِ

ودافعِ السوء عنهمْ يا إلهي ! ولاَ
تجعلْ سبيلاً عليهمْ للمُعادينِ[4]

واجعلْ سرورهمُ صفوًا بلا كدرِ
واجعلْ زمانهمُ أيام عيدَيْنِ

واسترهُمُ برداء الحفظ يا أملِي !
بحرمة السرِّ : بينَ الكاف والنونِ[5]

بجاهِ خيرِ الورى والتابعين لهُ
آمينَ ! آمينَ ! يا ذا الفضلِ لبيّنِي

****

(١) في "أ"، من نوافجها، والنوافج اوعية تستعمل لحفظ المسك والعنبر.

(٢) في "أ" كما امحصتموني بود.

(٣) العفاة : من الناس من يطلبون العطاء من غيرهم، في "ت" وزد لهم.

(٤) في "أ"، و"ت" وادفع السوء وهو ما لا يستقيم معه الوزن، "وكسرت نون "للمعادين" لتناسب القافية.

(٥) في البيت معنى الآية : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فيكونُ﴾ يس ٨٢ .

رباط الود مشتد(*)

[من الطويل]

أمَــا والـذِي تـعنُو لـهــيـــبــتـــهِ الورَى
وجـلَّ اعـــتـــزازًا أن يـكـون لـهُ نـدُّ(1)

لأنـتمْ وإن شطَّ المـزارُ بشــخـــصكمْ
أودُّ مـن الـقــربَـى وأدنَـى إذا عُـــدُّوا

فكمْ من بـعــيـــدِ الدارِ نـالَ مـــرادَهُ
وكـمْ مـن قـــريـبِ الـدارِ مـــا نـالَـهُ ودُّ

ألا فـلـتطـبْ نـفـــســـاً بـطـيـبِ ودادِنـا
فـــإنَّ رباطَ الـود تـاللّـه مـــشـــتـــدُّ

****

(*) رد بالابيات على ابن عمه "الطيب بن المختار" الذي مدحه بقصيدة مطلعها :

«اكـل خـلـيـل لا يـدوم لـه عـــهـــد
أم انـفـــرت في حل مـــا عـــقـــدت هـند؟»

(1) الابيات في "أ"، ص : ٤١، و"ص"، ص : ١٥١

يراع ينفث سحراً(*)

[من الطويل]

أتانِي كــتــابٌ لا يُملُّ ســمــاعُــهُ
كــتــابٌ كــوشْيِ الروضِ تزهو بقــاعُــهُ(1)

يزيدُ على التــردادِ طيــبــاً ولذةً
يــعــزُّ علينا طرحُــهُ ووداعُــهُ

يدبُّ دبيبَ الخــمــرِ في جــسـمِ ســامعٍ
فــيطربُنا إســمَــاعُــه وســمــاعُــهُ(2)

كــتــابٌ أتاني حــافظَ الود وافــيــاً
وإنَّ الوفــا أضــحتْ يبــابًا رِبَاعُــهُ(3)

كــتــابُ أبي النصــرِ الذي فــاقَ منطقــاً
وينفثُ ســحــرًا بابليّــاً يراعُــهُ(4)

فــلا زالَ في أوجِ الكمــالِ مــخــيِّــمــاً
يضيءُ علينا نورُه وشــعــاعُــهُ

ولا زالَ من يحــمِي الذمــارَ بعــزْمٍ
ولو جــمــعُــوا مــا يســتطاعُ دفــاعُــه(5)

(*) بعث بالقصيدة إلى الشيخ "أبي النصر الطرابلسي" رداً على قصيدة مدحه له، وأولها :

«هيــفــاء قــد نضــجت بمسك عــاطر
كــيــمــا تقــبل ذيل عــبــد القــادر

من آل بيت قــد غــدوا ســفــن النجــا
لمن التــجــا من لج بحــر زاخــر»

(1) القصيدة في "أ"، ص ٤١، ٤٢ و"ت" و"ص"، ص : ٢٢٧، ٢٢٩

(2) يعني أن الموسيقى غنية، والإيقاعات مطربة.

(3) اليباب : الخراب والقفر [والرباع جمع الربع: الدار] (م).

(4) بابلياً : نسبة إلى مدينة بابل بالعراق.

(5) في "أ" و"ت" حامي الذمار.

ولا زالَ محجوجَ الأفاضل كعبةً
ومَمدوحةً أفعالُه وطباعُهُ[1]

ولا زالَ سيارًا إلى اللّه داعيًا
بعلْمٍ وحلْمٍ ما يُضمُّ شراعُهُ

ولا زالَ للْعلياءِ أرفعَ رايةٍ
وبشراهُ مبذولٌ لنا ومتاعُهُ

فأبقاهُ من رقَّاهُ عينَ زمانهِ
وحاملَ كُلِّ الكَلِّ منا وساعُهُ[2]

****

(١) محجوج : يحج إليه لفضله.

(٢) رقاه : هنا أعلى مكانته.

لن يبرأ(*)

[من الكامل]

أقــــولُ علـى صـــــدقٍ لأهـل الـنُّـهَى طُـرًّا
ولستُ بمســتــثنٍ لئـيـمًـا ولا حُــرًّا :(1)

ألا خــبِّـــرونِي ! أين ضلَّت عــقــولُكمْ
وكلُّكمُ يســتــهــجنُ الشــرَّ والضــرَّا

ويـغـــفلُ عنهُ وهُو منـتــبــةٌ لهُ
ويطلبُ هذا الشــرَّ أعظمَ به شــرَّا

وحـــينئــذٍ يقــلاهُ كلُّ مــصــاحبٍ
ومنْ مسَّ هذا الضــرُّ هيــهــاتَ أن يبــرا(2)

****

(*) الأبيات لغز بها الأمير في الشيب والكبر وكان لها صدى في عصره فعارضها بعض الشعراء آنذاك.

(1) الأبيات في "ت"، ص ٥١ و"ص"، ص : ١٦٠، ١٦١

(2) في "ت" يقلوه، وكل مواده. ويقلاه : يجفوه، ويبغضه.

د. مناسبات

طال ليلي، يا أحبائي(*)

[من الكامل]

يا ســــوادَ العين يا روحَ الجـســـدْ
يـا ربـيـعَ الـقـلـب ! يـا نِـعـم الـسَّـنَـدْ ![1]

كـنـتَ لِـي قـــــرةَ عـينٍ وبـهــــا
هـــامَ قـــلـــبـــي لا بمـــالٍ وولـــدْ[2]

فـــرمَى الدهرُ بعـــيـني أســـهـــمـــاً
مـــذْ نايتُمْ لا أرى فـــيـــهـــا أحـــدْ

أيـروقُ الـطـرفَ شـيءٌ بـعـــــدكـمْ ؟!
لا وربِّ الـبـــيـــتِ في هـزْلٍ وجـــدْ

مـــذْ ترحلـتمْ أذبـتمْ مــــهـــجـــتي
ودمـــوعِي فـــائضـــاتٌ من كـــمـــدْ

فنيَ الـصـــبـــرُ ولـم يـفـنَ الجـــوى
مـــا أراه فـــانيـــاً حـــتَّى الأبدْ[3]

وذوَى مـــا كـــان رطبـــاً يانعـــاً
ووهَـى الـعـظـمُ ولـم يـبـقَ الجـلـدْ[4]

مـــذْ تـواريـتـمْ تـوارَى فـــرحِي
مـــا يـســرُّ القلبَ في أخـــذِ وردْ

(*) بعد الآثار الناجمة عن ضراوة المعارك مع العدو الفرنسي، اضطر مجاهدون من جيش الأمير إلى الفرار، فتوجه بعضهم إلى المغرب الأقصى ومنهم إخوانه: "سعيد" و"مصطفى" و"حسين" وإليهم بعث القصيدة سنة ١٢٥٨هـ - ١٨٤٢م.

(١) القصيدة في "أ"، ص: ٦، ٧ و"ت"، ص: ٤٢٢، ٤٢٣ و"ص"، ص: ١٤٩، ١٥١ ،"ن"، ص: ٤٩، ٥٠

(٢) في "ت" لاح قلبي.

(٣) في "أ"، و"ت" قد فنى صبري.

(٤) في "أ"، و"ت" وانزوى ما كان.

فحياتي بعدكمْ مذْ غبتمُ
من مجازٍ مرسلٍ عندي يُعَدْ
طال ليلي يا أحبَّايَ ! ولا
يعلمُ الحالَ سوى الفردِ الصمدْ[1]
كم أنادي حين يبدو صبحُهُ
يا سعيدٌ ؟! هل خيالٌ لي يُرَدْ ؟!
فتردُ الروحُ للجسمِ ويَا
مصطفَى ! هل منْ دواءٍ للكمدْ ؟!
شاقني حبُّ حسينٍ شاقني
ما لحكمِ اللّه في القلبِ مردْ[2]
هل يجودُ الدهرُ من بعدِ النوى
باقترابٍ ؟! يُحيِ ميتًا لم يعدْ
فإذا لي تمَّ ما أمّلْتُهُ
عاد إنساني وروحِي للجسدْ
يا ذوي القربى ! قريبًا من أبٍ
أنتمُ ذخري وكنزِي والسندْ
ليَ كونُوا مثلمَا كان الأُوْلَى
سلفُوا لي أهلَ سعيٍ لا يردْ
فإذا ما أقبلتْ فلتبذُلوا
وإذا مَا أدبرتْ فارْضَوْا بودْ
وعليكمْ من سلامٍ صيبٍ
طيِّب يترَى إلى غيرِ أمدْ[3]
يشملُ الأحبابَ أنَّى قد ثووا
كل حبٍّ لي هو الصنْوُ الأودْ[4]

****

(١) في "ت" يا احبائي.

(٢) في "أ" و"ت" في الخلق مرد

(٣) صيب : ثابت، دائم، ويترى: يتوالى، يتتابع. [واستعمال «يترى» هكذا لم يصح] (م).

(٤) ثووا : ثبتوا واستقروا. والصنو يطلق على الأخ الشقيق.

تحصنتُ لا خوفاً من الموت(*)

[من الكامل]

اللّه أعلمُ أنَّ هذا لم يكنْ
منّي على الأمدِ الطويلِ دليلا(1)

كلا وإنَّ منيَّتي لقريبةٌ
منّي وأُصبحُ في الترابِ جديلا(2)

ورضَا الإله هو المنى ويكونُ من
بعدي انتفاعُ الخلقِ ثَمَّ طويلا(3)

****

(*) قرر الأمير تشييد حصن تازه، فانجز في أمد قصير، وفيه نظم الأبيات.

(1) الأبيات في "آ"، ص : ٦، و"ت" ص : ٣١٣، و"ص"، ص : ٢٨٤، وفي "ت" على الأمل.

(2) الجديل : القتيل المضرج بدمائه.

(3) في "ت" ليكون وثم : هناك.

الباذلون نفوسهم(*)

[من الكامل]

يا أيهَا الريح الجنوبُ ! تحمَّلِي
منّي تحيةَ مغرمٍ وتجمَّلِي[1]

واقْرِ السلامَ أُهَيْلَ وِدّي وانثري
من طيبِ ما حمّلتِ ريحَ قرنفلِ

خلِّي خيامَ بني الكرامِ وخبّري
أنّي أبيتُ بحرقةٍ وتبلبُلِ[2]

جَفْنيْ قد ألفَا السهادَ لبينكمْ
فلذَا غدَا طيبُ المنام بمعزلِ[3]

كم ليلةٍ قد بتُّها متحسرًا
كمبيتِ أرمدَ في شقًا وتململِ

سهران ذو حزنٍ تطاول ليلهُ
فمتَى أرى ليلي بوصلِي ينجلِي ؟!

ماذا يضرُّ أحبّتي لو أرسلُوا
طيفَ المنامِ يزورنِي بتمثُّلِ ؟

كلُّ الذِي ألقاهُ في جنبِ الهوَى
سهلٌ سوى بَيْنِ الحبيبِ الأفضلِ

(*) أشاع الفرنسيون أن الأمير عبد القادر قد قتل ليفزعوا جيوشه في جبال "جرجرة" الواقعة في شمال الجزائر، ولما علم بذلك بعث بالقصيدة إلى جيوشه غير آبه بتلك الإشاعات.

(١) القصيدة في "أ"، ص ٨، ١١، و"ت"، ص : ٣٤٣، و"ص"، ص : ٢٧٤، ٢٨١ .

(٢) في "أ" و"ت" حلي.

(٣) في "أ" ،"ت" جفني لقد ألف السهاد.

أدِّي الأمــــانةَ يا جنوبُ ! وغــــايتِي
في جــمع شــملِي يا نســيمَ الشــمْــالِ !

واهدِي إلى من بالرياضِ حــديثَــهمْ
أذكى وأحلَى منْ عــبـــيــرِ قــرنْفُلِ

تُهـــدي إليَّ طرائفــاً وظرائفــا
ولطائفــا بتـــعطُّرٍ وتعـــسُّلِ

حــاولتْ نفسي الصبرَ عنهمْ قيلَ لي :
مـــهْ ! ذا مــحــالٌ ويكَ عنه تحــوُّلِ ![1]

كــيف التــصـــبُّــر عنهمُ ؟! وهمُ همُ
أربابُ عــهــدي بالعــقــودِ الكمَّلِ !

أيحلُّ ريبُ الدهر مـــا عــقــدُوا ؟! وكمْ
حلَّتْ عـــقــودِي بالمنَى المتــخــيَّلِ !

تفْـــديهمُ نفــسِي وتفــدِي أرضــهمْ
أزكَى المنازلِ يا لهـــا من منزِلِ !

افــدِي أناســاً ليس يدعَى غـــيــرهمْ
حــاشَــا العــصــابةِ والطرازِ الأولِ[2]

يكفــيــهمُ شــرفــاً وفــخــراً باقــيــاً
حــملُ اللواءِ الهـــاشـــميِّ الأطولِ

قــد خــصــهمُ واخــتــصَّهمْ واخــتــارهمْ
ربُّ الأنامِ لذَا بغـــيـــرِ تعـــملِ

هـمْ بالمديحِ أحقُّ لكنْ ربُّمـــا
ضــاعتْ حــقــوقٌ بالعـــدا والعــذَّلِ

إن غـــيــرُهمْ بالمال شحَّ ومــا ســخَــا
جـــادُوا ببـــذلِ النفسِ دون تعلُّلِ

---

(١) مه : اسم فعل أمر ومعناه اكفف.

(٢) البيت على صلة بقول حسان بن ثابت : "شم الأنوف من الطراز الأول" [وقوله للّهِ درّ عصابة نادمتهم] (م).

البـــاذلونَ نفـــوســـهمْ ونفــيـــسَـــهُمْ

في حــبِّ مـــــــالـكِنَـا الـعظـيـمِ الأجـلـلِ

كم يضــــحـكُ الرحــــمنُ من فــعـــلاتهمْ

يـومَ الـكريـهـــــةِ ! نِعـمَ فـــــعـلُ الكُمَّلِ ![1]

الصـــادقــــونَ الصــــابرونَ لدى الـوغَـى

الحــــــاملـونَ لكلِّ مــــــا لم يُحْـــــمـلِ

إنْ غـــيـــرُهمْ نـالَ اللـذائذَ مــســـرفــــاً

همْ يبـتـغـونَ قِـراعَ كـتبِ الجــحـفلِ[2]

وألـذُّ شـيءٍ عـنـدهـمْ لحـمُ الـعـــــــــدَا

ودمـــــــاؤهُم كــــزلالِ عــــذبِ المنهلِ[3]

الـنـازلـونَ بـكـل ضـنـكٍ ضــــــيـقٍ

رغـــمـــاً على الأعـــدَا بغــيـــر تـهـــوُّلِ

لا يعـــرفُ الـشكوى صـــغـــيـــرُ منهمُ

أبـدًا ولا الـبـلـوَى إذا مـــــــا يـصْـطـلِـي

مـــــا مـنهـمُ إلا شــــجـــــاعُ قـــارعٌ

أو بـارعٌ في كل فـــــعلٍ مُــــجــــمَلِ

كم نافــسُــوا كم ســارعُــوا كم سـابقُــوا

من ســــابقٍ لفــــضــــائلٍ وتفـــضُّلِ

كم حــــاربُوا كم ضــــاربُوا كم غــــالبُــوا

اقـــــوَى الـعـــــداةِ بكـثـــــرةٍ وتمـوُّلِ

كم صــــابرُوا كم كــــابرُوا كم غــــادرُوا

اعــــتَى اعـــاديـهمْ كــعـــصـفٍ مُــؤْكَلِ[4]

---

(١) كم يضحك الرحمن : أراد رضا الله سبحانه، والكريهة : الحرب الشديدة.

(٢) الجحفل : الجيش الكثير المدمج [وقوله كتب الجحفل؛ كأنه يريد الكتائب. ولم يرد جمع كتيبة على كتب، كما في هذا البيت] (م).

(٣) يريد استباحة دمائهم (قتلهم) في المعارك (م).

(٤) في "أ" و"ت":اقوى اعاديهم [وقوله كعصف مؤكل، أراد: كعصفٍ مأكول، ولم يستقم له القول] (م).

كم جاهدُوا كم طاردُوا وتجلّدُوا

للنائباتِ بصارمٍ وبمقْولِ[1]

كم قاتلُوا كم طاولُوا كم ماحَلُوا

من جيشِ كفرٍ باقتحامِ الجحفلِ[2]

كم ادلجُوا كم أزعجُوا كم اسرجُوا

بتسارعٍ للموتِ لا بتمهُّلِ[3]

كم شَرَّدُوا كم بَدَّدُوا وتَعوَّدُوا

تشتيتَ كل كتيبةٍ بالصيْقلِ[4]

يومُ الوغى يومُ المسرةِ عندهمْ

عند الصيَاحِ له مشَوا بتهلُّلِ[5]

فدماؤُهمْ وسيوفُهمْ مسفوحةٌ

ممسوحةٌ بثيابِ كل مجندَلِ

لايحزنونَ لهالكٍ بل عندهمْ

موتُ الشهادةِ غبطةُ المتحولِ[6]

ما الموتُ بالبيضِ الرقاقِ نقيصةٌ

والنقصُ عندهمُ بموتِ الهُمَّلِ[7]

يا ربُّ ! إنك في الجهادِ أقمتهمْ

فبكلِّ خيرٍ عنهمُ فتفضَّلِ

---

(١) الصارم : السيف. المقول : اللسان.

(٢) في "أ" و"ت" كفر شبه موج يعتلي. وبعد البيت هذا آخر في "أ" و"ت" وهو مفقود في نسخة "حقي"، والبيت هو :

«كم ثبتوا، كم بتتوا، كم شتتوا   شمل الكوافر باقتحام الجحفل»

(٣) ادلجُوا : ساروا ليلا.

(٤) الصَّيقل: الذي يَسُنّ السيوف ويجلوها. والشاعر أراد «الصقيل»: السيف، ولم ينضبط له فقدّم في الكلمة وأخّرا (م).

(٥) في "ت" عند الصباح.

(٦) في "أ" غبطة المتمول، وفي "ت" غبطة الثمول.

(٧) البيض الرقاق : السيوف الحادة. [الهمّل: كذا وردت، وهي غريبة، وهو يريد الهَمَل؛ غير مشددةً] (م).

يــا ربُّ ! يــا ربَّ الــبـــــــــــرايــا ! زدهــمُ

صــــبـــــرًا ونـصـــــرًا دائـمــــاً بـتـكـمُّلِ

وافـــتـحْ لـهـمْ مـــولايَ ! فـــتـــحـــاً بـيِّـنـاً

واغــــفـــرْ وســـامـحْ يـا إلـهِـي ! عـــجِّلِ[1]

يـا ربُّ ! يـا مــــولايَ وابـقــــهـمُ قَـــذًى

فـي عـيـنِ مـن هـو كـــــافـــــرٌ بـالمرسَـلِ[2]

وتـجـــــاوَزَنْ مــــولايَ ! عـن هـفــــواتِـهِمْ

والـطـفْ بـهـمْ فـي كـل أمـــــــــرٍ مـنـزَلِ

يـا ربُّ ! واشــــمـلـهـمْ بـعـــــفــــوٍ دائـمٍ

كن راضــيـــاً عنهمْ رضَــا المتــفــضِّلِ

يـا ربُّ ! لا تـتــركْ وضــيــعـــاً فــيــهـمُ

يـا ربُّ ! واشـــمـلـهـمْ بـخـــيـــر تشـــمُّلِ

مـــتـــوسِّـــلاً مـــولايَ ! في ذا كـلِّـهِ

مــتــشــفِّــعـــاً بشــفــيعِ كل مكمَّلِ

وجــهـتُ وجــهِي في الأمــور جــمــيـعِـهــا

لمحـــمـــدٍ غـــيـثِ الـنَّدى المســتـــرسِلِ[3]

صلّى علـيـــه اللّهُ مـــا سحَّ الحـــيَـــا

والآلِ مـــا ســـيفٌ سطَا في الجـــحْـــفلِ[4]

****

(١) وافتح... فتحاً بيناً : ماخوذ من قوله سبحانه : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ الفتح ١ .

(٢) القذى : ما تُلقى به العين من الأوساخ. [وقول الشاعر «وابقهم» فيه ضرورة لأنه حذف همزة القطع] (م).

(٣) وجهت وجهي : من قوله تعالى : ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ الأنعام ٧٩ .

(٤) الحيا: المطر، و: سَحّ سال وانهمر؛ و: سطا: صال ووثب وغلب (م).

عذاب الأسر(*)

[من الكامل]

مــــاذا علـى ســـادتـنـا أهلِ الـوفــا
لو أرسلُوا طيفَ الـزِّيارةِ فِي خـفـا[1]

يتـرصَّد الرقـبـاءَ حـتـى يغـفلُوا
ويكونَ مـانعُ وصلِنا لـيـلاً غـفـا

فـإذا تمكَّنتِ الـزيارةُ خـفـيـةً
ياتِي مـواعـدُ وصلِنا مـتـلطِّفـا

ويكونَ قـبلَ حلولهِ افـرشـتُـهُ
خـدِّي وَطاءً للنعـالِ وللحـفـا

ويـكـونَ بـيـتُ نـزولـهِ قـلـبِـي الـذِي
- وحـيـاتِهِمْ - من حبِّ غـيـرهمُ عـفـا

ضـيـفٌ لـهُ نُزُلٌ لديَّ كـرامـةً
كـبـدٌ شـواهَا البـعـدُ في جـمـرِ الجـفـا

يا سـعـدُ ! إن كنتَ البـشـيـرَ بـوصلهِ
فلـقـدْ أتيتَ على المسـرَّةِ والـوفـا

لـو أنَّ نـفـسـي لـي إليكَ بذلـتُـهـا
وأراهُ بذلَ مـقـصِّـرٍ مـا أنصـفـا[2]

وتكونُ يا سـعـدُ المسـاعـدَ للَّذِي
- من هجـرِ مَنْ يهـواهُ - صـار على شـفـا

لـم يُبْقِ يـومُ البـينِ والـهـجـرِ - الذِي
خُلِقَـا لتـعـذيبِ الأحـبـةِ مُـسـعِـفَـا

(*) في أسره كان الأمير كثيراً ما يلتجئ إلى التوسل للتخفيف عن نفسه والقصيدة تذهب هذا المذهب.

(1) القـصـيـدة في "أ" ص : ١٣ - ١٤، و"ت"، ص : ٥٥٤، ٥٥٦، و"ص"، ص : ٢٣٧، ٢٤٢ و"ن"، ص : ٥١، ٥٣،
وساداتنا اراد بهم علماء الصوفية.

(2) في "أ" واراها.

إلا صُبابتُهُ وجسماً قد غدَا
ملقًى كشنٍّ بالفلاَ لن يُخْصَفَا[1]

زفراتُ قلبِي جمرُ نارٍ أُجِّجَتْ
منهُ دموعُ العينِ فاضتْ ذُرَّفَا

بِمَحاجِرٍ منْ حاجِرٍ أقذاءُ قَدْ
طردتْ ضيوفَ الطيفِ جاءتْ طُوَّفَا[2]

هلْ من منامٍ لِلَّديغِ بمَرَّمٍ
فضلاً عنِ المراتِ أو هلْ مِن غَفَا ؟!

ما إن تألّقَ برقُ سَلْعٍ والحمَى
حتى تفيضَ النفسُ منهُ تأسُّفَا[3]

وأراهُ سيفاً صارماً وسطَ الحشا
فعلَ الأفاعِي، أو شهاباً ما انطفَا

يحكِي زفيرِي رعدَه ورياحَهُ
وبوبلِهِ حاكَى دموعِي الوكَّفَا[4]

وإذا جرى ذكرُ العقيقِ وأهلِهِ
أجرَى العقيقَ تأسُّفاً وتلهُّفَا[5]

يا أهلَ طيبةَ ! ما لكمْ لم ترحمُوا
صبّاً غدَا لنوالكمْ مُتكفِّفَا ؟![6]

(١) الشن : القربة الصغيرة. والصبابة : البقية، والخصف : إصلاح الحال بعد الفساد، أو ترقيع ما اصيب بثقوب.

(٢) المحاجر جمع المَحْجر وهو من العين: ما دار بها، وبدا من البرقع، أو ما يظهر من النقاب. وحاجر موضع في ديار بني تميم نكره الشعراء كثيراً، قال الأعشى:

شاقتك من (قتلة) أطلالها — بالشط فالوتر إلى حاجر (م)

(٣) في "ت" مهما تألقوا فيها، وفي "أ" كانت تفيض. وسلع : موضع في الحجاز ولعله اراد به المسجد النبوي الشريف.

(٤) الوبل : المطر الغزير.

(٥) العقيق الأولى موضع عند المدينة ذكره الشعراء كثيراً (مع اعقّة اخرى ايضاً) والعقيق الثانية: الحجر الأحمر المعروف وجاء به مجازاً ليقول: إنه يبكي بدموع كالعقيق او يبكي دماً (م)..

(٦) طيبة : من اسماء المدينة المنورة. والمتكفف : الناشد المستعطي.

لا تجمعوا بين الصدودِ وبُعدِكمْ
حسبي الصدود عقوبةٌ فلقد كفَى
لم أدْرِ شيئاً قبلَ معرفةِ الهوَى
حبِّي لكمْ ما كانَ قطُّ تكلُّفَا
ما بالهمْ يا صاحِ لم يتذكَّروا
صبّاً كئيباً في المحبَّةِ مدنفا ؟![1]
ما قِيل : ذاكَ أسيرُنا وقتيلُنا
بين العوادِي والأعادِي مثقفا[2]
قلبي الأسيرُ لديكمْ والجسمُ في
أسرِ العداةِ معذباً ومكتّفَا
حاشاكمُ لجميلِ ظني فيكمُ
أنْ تُشْمِتُوا فيَّ العدوَ المرْجِفَا
ولطالمَا لام العذولُ بحبكمْ
وأطالَ عتبِي ناصحاً ومعنِّفَا
ولكمْ سعى كيمَا يصرِّفَ وجهتِي
عن وجهِ ودكمُ ولم يكُ مصرِفَا
ويودُّ لوْ أني سلوتُ هواكمُ
فيكونُ لي خِلاً وفيّاً منصِفَا
قلبُ الشجيِّ كمَا علمتمْ إنهُ
لا ينثنِي عن حبكمْ متخوِّفَا

(١) مدنف : متهالك في حبه.

(٢) العوادي : المصيبة. مثقف : طريح من جرح، أو مثخن بجراحه.

يبـــغِي الوصـــالَ ولـو تمزّق تـالِفـــاً
ويـلذُّ أن يـلـقَى الـعـــذابَ ويَـتـلـفَـــا[1]
يـســـــرِي ولـوْ أن الـظـلامَ عـــــداتُهُ
ويـســـيــرُ لو كـــانَ الـنـهـــارُ المرهفَـــا[2]

****

(١) في "ت" ويلذ بالتعذيب إن يك متلفا.
(٢) المرهف : السيف، الحاد القاطع.

يا سيدي! يا رسول الله!!

[من البسيط]

يا سـيـدِي ! يا رسـولَ اللّهِ ! يا سندِي !
ويا رجـائِي ! ويا حـصنِي ! ويا مـددِي ![1]

ويانخـيـرةَ فـقـرِي ! يا عـيـاذِيَ ! يا
غـوثِي ! ويا عـدتِي للخطبِ والنكدِ ![2]

يا كـهفَ ذلّي ! ويا حـامِي الذمـارِ ! ويا
شـفـيـعَنا في غـدٍ ! أرجـوكَ يا سندِي[3]

لا علمَ عندي أُرجِّـيـه ولا عـملٌ
أمـامَ نجـوايَ من هديٍ ومنْ رشَـدِ

أبـغي رضـاكَ ولا شيءً أقـدِّمـهُ
سـوى افـتـقـارِي وذلّي واصـفـرارِ يَدِي[4]

إن أنتَ راضٍ فـيَـا فـخـرِي ويا شـرفي!
مـاذا عليَّ إذا والـيـتُ من أحـدِ ؟[5]

****

(١) المقطوعة في "آ"، ص : ١٤، ١٥، و"ص"، ص : ١٤٢، ١٤٣

(٢) يا عياذي، العوذ : الالتجاء، والاحتماء، كما في قوله تعالى :﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ الفلق : ١

(٣) الذمار : كل ما يلزمك حمايته وحفظه. ويقال : "هو حامي الذمار" إذا حمى ما لو لم يحمه ليم وعُنِّف.

(٤) اصفرار اليد: أراد ضعفه، وعدم امتلاكه القوة. [يقال: فلان صِفْر اليدين. واستعماله المصدر (اصفرار) هنا غير مناسب] (م).

(٥) في "آ" عن كنت راض [ومجيئه بـ «إن» الشرطية في الجملة غير مناسب] (م)..

أعرني قلباً (*)

[من الطويل]

ألاَ إنَّ قلبي يومَ بنتمْ وسرتُمُ
غدا حائماً خلفَ الظُّعُونِ يطيرُ[1]

يقاسِي مرارَ الموتِ من ألم الجوَى
فمَا ليَ إلاَّ أنّةٌ وزفيرُ

رحلتمْ وسرتم لو رحمتمْ ! فبينُكمْ
لحِظِّي يومٌ للبلاء عسيرُ[2]

وكنتُ ليوم البينِ أعددتُ عدةً
وفي الظنِّ ما أعددتُه لكبيرُ !

فخانَ الذي أعددتهُ لفراقكمْ
وولَّتْ جيوشُ الصبرِ وهْي غَرورُ

فلو أنّكمْ يوم الفراق أعرتمُ
قلوبَكمُ لي إنَّنِي لصبورُ !

****

(*) قال الأبيات في الأسر بفرنسا عندما التجا إخوته إلى المغرب وتركوه وحيداً.

(1) الأبيات في "أ"، ص : ٢٥، و"ت"، ص : ٥٥٧، ٥٥٨، و"ص"، ص : ٢١٠، ٢١١ وفي "ت" يسير، و : الظعون بفتح الظاء: الراحلة أو البعير يُحْمَلُ عليه (م).

(2) في "ت" البيت :

"رحلتم، ولو تدروا رحمتم، فبينكم
لحظي ليوم للبلاء عسير"

آمن من حمام مكة(*)

[من البسيط]

الحمدُ للّه تعظيماً وإجلالا
ما أقبل اليسرُ بعد العسرِ إقبالا[1]

وما أتَتْ نفحاتُ المسكِ ناسخةً
من المكارمِ أنواعاً وأشكالا[2]

واشكرُ اللّه إذا لم ينصرمْ أجلِي
حتى وصَلتُ باهلِ الدين إيصالا[3]

وامتدَّ عمري إلى أن نلتُ من سندِي
خليفةِ اللّه أفياءً وأظلالا[4]

فاللّهُ أكرمنِي حقّاً وأسعدنِي
وحطَّ عنيَ أوزارًا وأثقالا

قد طالَ ما طمحتْ نفسِي وما ظفرتْ
لكنْ للوصلِ أوقاتاً وآجالا

أسْكِنْ فؤادي وقرَّ الآن في جسدِي
فقد وصلتُ بحزب اللّه أحبالا[5]

هذا المرامُ الذي قد كنتَ تأملهُ
فطبْ مآلاً بلقياه وطبْ حالا

(*) قال الأبيات في حضرة السلطان "عبد المجيد" عندما خرج من السجن واختار تركيا للمقام في أول الأمر.

(١) القصيدة في "أ"، ص : ٢٥، ,٢٧ و"ت"، ص : ٥٧٦، ٥٧٨، و"ص"، ص : ٢٥١، ٢٥٦ و"ن"، ص : ٣٧، ٤٠ في البيت معنى قوله تعالى : ﴿فإنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا﴾ الشرح : ٥٠

(٢) في "ت" نفحات الخير.

(٣) حق الكلام أن يكون: «حتى وصلت.. وصلاً ولكنه عدل – للضرورة – إلى مصدر آخر هو إيصال وفعله أوصل (م).

(٤) أظلال أحد جموع كلمة ظِلّ (م).

(٥) أحبال أحد جموع «حَبْل» (م).

وعش هنيئاً فأنتَ اليوم آمَنُ مِنْ
حمام مكةَ إحراماً وإحلالا[1]
فأنتَ تحت لواء المجدِ مغتبطٌ
في حضرةٍ جمعتْ قطباً وأبدالا[2]
وتِهْ دلالاً وهزَّ العطفَ من طربٍ
وغنِّ وارقصْ وجُرَّ الذيل مختالا[3]
أمِنتَ من كل مكروهٍ ومظلمةٍ
فبُحْ بما شئتَ تفصيلاً وإجمالا
هذا مَقامُ التهاني قد حللتَ بِهِ
فارتعْ ولا تخشَ بعد اليوم أنكالا[4]
أبشرْ بقربِ أميرِ المؤمنينَ ومَنْ
قد أكملَ اللّه فيه الدينَ إكمالا
عبدُ المجيد حوى مجدًا وعزًّ عُلاً
وجلَّ قدرًا كما قد عمَّ أنوالا
كهفُ الخلافةِ كافيها وكافلُها
وما عهدْنا له في القرنِ أمثالا[5]
يا ربِّ !! فاشددْ على الأعداءِ وطأتَهُ
واحمِ حماه وزِدهُ منك إجلالا
واظهرنْ حزبَه في كل مُتَّجهٍ
وسَدِّدَنْ منه أقوالاً وأفعالا

(١) إحراما وإحلالا : أراد الأشهر الحرم، والأشهر الحل.

(٢) القطب ويسمّى الغوث، والأبدال: هم عند القوم سبعة، كما في التوقيف على مهمّات التعاريف (٢٩) لا يزيدون ولا ينقصون.. إلخ، والكلام متعلق بمصطلحات الصوفية (م).

(٣) العطف : جانب الجسم، أو الخصر.

(٤) أنكال جمع نِكل وهو القيد الشديد (م).

(٥) في "أ"، و"ت" من لا عهدنا له.

وابسطْ يديه على الغَــبــراءِ قــاطبــةً

وذلِّـلــنْ كـل مــن فــي الأرض إذلالا !![1]

فـالمسلمـونَ بـأرض الغـربِ شـاخـصـةٌ

أبصــارُهـمْ نحــوه يرجــونَ إقــبــالا

كم ســاهرٍ يرتجِي نومــاً بطلعــتــهِ

وحــائرٍ يرتجِي للحــزنِ تســهَــالا

فــرعُ الخــلائف وابـنُ الأكــرمين ومَنْ

شــدّوا عُــرى الدين أركــانًا وأطلالا[1]

كم أزمــةٍ فــرجُـوا!! كم غــمــةٍ كـشـفـوا!!

كـم فكّكوا عن رقــابِ الخلـق أغــلالا

همْ رحــمــة لبني الإيمانِ قــاطبــةً

هـمُ الـوقــايــةُ اســـواءً وأهـوالا

انـصــارُ دين النبيّ من بـعـد غـيـبـتـهِ

في نصــره بذلـوا نفــســاً وامــوالا

قــد خــصّــهمْ ربُّهمْ في خــيــر منقـبـةٍ

مــا خصّ صـحْـبـاً بـهـا قــبــلاً ولا آلا

كم حــاول الصــحبُ والآلُ الكرامُ لـهــا

والله يخــتصُّ من قـــد شــاء افْـضَـالا

مـــا زالَ في كل عــصــرٍ منهمُ خـلـفٌ

يحـمي الشـريعــةَ قــوْالاً وفــعْــالا[2]

حــتى أتى دهرُنا في خــيــر منتــخَبٍ

من آل عــثــمــانَ امــلاكــاً وأقـيــالا[3]

---

(١) الغبراء : الأرض كلها.

(٢) في "أ" و"ت" وشادوا عرى.

(٣) في "أ" و"ت" مقوالا ومفعالا.

(٤) أملاكا : جمع ملك، والأقيال : جمع قَيْل لقب كان يطلق على ملوك اليمن من حمير.

قـد كنتُ مـضـمـرَ خـفضٍ ثم أكـسـبنِي
رفـعـاً وقـد عـمَّني جـودًا وافـضـالا[1]

وبالإضـافـةِ بعـد القطعِ عـرَّفنِي
وحطَّ عنِّي تصـغـيـرًا وإعـلالا

هـذا وحـقٌّ عـلاهُ كـم أزاحَ وكـمْ
أزالَ عـنيَ بمـحضِ الفـضـلِ أثقـالا

لا زال تـخـدمـهُ نفـسِي وامْـدحـهُ
مـسـتـغـرق الدهر أبكارًا وآصـالا[2]

أهدِي مـديحِي وحـمـدِي ـ مـا حـيـيتُ ـ لهُ
افـادنـي أنـعُـمـاً ـ جلّتْ ـ وإقـبـالا

جـزاهُ عنِّي إلهُ العـرش أفـضلَ مـا
جـزى به مـحـسنًا ـ يومـاً ـ ومـفـضـالا

****

(١) في هذا البيت والذي يليه استفادة من مصطلحات النحو والصرف على سبيل التورية (م).

(٢) في البيت صلة بقوله سبحانه : ﴿وسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأصِيلا﴾ الأحزاب : ٤٢، [وقوله: ابكاراً هي جمع بُكْرة، ويقال بُكَر ايضاً] (م).

توسلات ودعاء(*)

[من البسيط]

يــا ربُّ يــا ربُّ ! يــا ربَّ الأنــام ! ومَــنْ
إليـــه مَــفْــزعُنَا سِــرًا وإعــلانَا(١)

يا ذا الجــلالِ ! وذا الإكــرام ! مــالكُنا
يا حيُّ ! يا مُـوليـاً فـضـلاً ! وإحـسـانَا(٢)

يـا ربُّ ! أيِّدْ بـروح القــدْس ملـجــانـا
عــبـدَ المجـيـد ولا تبـقـيـهِ حـيـرانَا(٣)

ابْـنُ الخــلائـف وابْـنُ الأكــرمين ومَنْ
تـوارثُـوا المـلْـكَ سلـطـانـاً فــسـلـطـانَا

أحـيَـا الجـهـادَ لنا من بعــد مـا دَرَسَتْ
وضــاعفَ المالَ أنواعًــا والـوانَـا(٤)

فــانصــرهُ نصــرًا عــزيزًا لا نظيــر لهُ
حــتى يزيدَ العِـدا : همّــاً وأحــزانَا(٥)

واحــفظْ عــلاهُ وأرسلْ يـا كــريمُ لهُ
من الملائكِ حــفَّـاظاً وأعــوانَـا

وانصــرْ به الشــرعَ وارفعْ يا رؤوفُ بِهِ
عـن دينـكَ الحـقِّ لا تـعــدمْـه بـرهانَا

(*) قال القصيدة في الدعاء والتوسل من أجل نصرة الدولة العثمانية في معركتها مع روسيا في جزيرة القرم عام ١٨٥٣

(١) القصيدة في "آ"، ص: ٢٧، ٢٩ و"ت"، ص: ٥٨١، ٥٨٣، و"ص"، ص: ٢٩٣، ٢٩٨ و"آ"يا رب الثالثة غير موجودة.

(٢) يا ذا الجلال، ويا ذا الإكرام : من قول الله عز وجل : ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ الرحمن : ٧٨ .

(٣) بروح القدس : وظف الحديث الشريف الذي دعا فيه ﷺ بقوله : «اللهم أيده بروح القدس» [والصواب: ولا تبقه].

(٤) درست : بليت، امحت، والمعنى بعدما درست معالم الجهاد.

(٥) نصراً عزيزاً : من قوله تعالى : ﴿وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ الفتح : ٣ .

واجـــــمـعْ إلـهـي قـلـوبَ المسلـمـين عـلـى
ودادِه، أعـلـهِ، اعـظـمْ لـه شَـــــــــانـا[1]
به الـصـــوابَ أصبْ واجــعـلْ لـه فــرَجًـــا
بطـانـةَ الخــــيـــــر : أقطابًا وأركــــانـا
واهدمْ وزلـزلْ وفــرّقْ جــمـعَ شــانِئِـــهِ
واجــــعـلْ فــــؤادَهـمُ بـالـرعبِ مـــــلآنـا
وانـصـــرْ وأيِّدْ وثـبتْ جـــيشَ نـصـــرتـهِ
انـصـــارَ دينك حــقــاً آل عُــثــمـــانـا
البـــاذلـون بـيــومِ الحـــربِ أنـفـــسـهـمْ
لـلَّـه كـمْ بـذلُـوا نـفــــســـــــاً وأبـدانـا
والضـــاربونَ بـبــيضِ الهند مـــرهَـفَـــةً
تـخـــالُـهـــا في ظلام الحـــربِ نـيـــرانـا
والطاعنونَ بسُـــمـــر الخطِّ عـــاليـــةً
إذا الـعــــدوُّ رآهـا شُـــــرِّعـتْ بـانـا[2]
والمصطلـونَ بنـارِ الحــــرب شــــاعلـةً
مـطلـوبـهـمْ منكَ يـاذا الـفــضـلِ رضـــوانـا
والـراكــبـونَ عــتــاقَ الخـيل ضـــامــرةً
تخـــالُـهـا في مـجــال الحــربِ عُـقـبــانـا[3]
جــيشٌ إذا صــاحَ صــيَّــاحُ الحــروب لهمْ
طاروا إلى الموتِ فـــرســـانًا ورُجـــلانـا[4]

---

(١) في 'ت' واعله اعظم.

(٢) سمر الخط: الرماح المصنوعة بقرية تدعى الخط بالخليج العربي [وبان هنا بمعنى بَعُد، يريد يهرب العدو ويبتعد حين يرى الخليفة العثماني وأسلحته الفاتكة] (م).

(٣) البيت على صلة ببيت أبي البقاء الرندي:

«يا راكبين عتاق الخيل ضامرة | كأنها في مجال السبق عقبان»

(٤) بعض المعنى مستمد من قول قريط بن انيف:

«قوم إذا الشر ابدى ناجذيه لهم | طاروا إليه زرافات ووحدانا»

[رجلان بضم الجيم جمع] (م).

هُمُ الجبالُ ثباتاً يومَ حربِهمُ

فصابرٌ من عداهمْ صبرُه خانَا[1]

هُمُ الليوثُ ليوثُ الغابِ غاضبةً

والليثُ لا يُلتَقَى إن كان غضبانَا

هُمُ الأُولى دأبُهمْ شقُّ الصفوفِ لدَى

حَمْلاتِهمْ، صار جيشُ الكفرِ دهشانَا[2]

الدافعونَ عن الإسلامِ كلَّ أذىً

بأنفسٍ قد غلتْ قدرًا وأثمانَا

كم غمّةٍ كشفُوا! كم كربةٍ رفعُوا ؟!

وكم أزاحُوا عن الإسلامِ عُدوانَا!

يا ربُّ زدهمْ بتأييدٍ إذا زحفُوا

واقطعْ بسيفِهمُ ظلماً وكفرانَا

ألقِ السكينةَ ربي في قلوبِهمُ

وزدهمُ يا إلهَ العرشِ إيمانَا

وجَّهتُ وجهِي أنِلني ما دعوتُ بِهِ

بأهلِ بدرٍ حماةِ الدينِ أركانَا[3]

مَنِ الإلهُ لهمْ قالَ افعلُوا وذرُوا

ما شئتمُ لكمُ أوجبتُ غُفرانَا

أعنِي : الأُلى صرّحَ الحفّاظُ ذكرهمُ

بإسمِهمْ تاركًا مَنْ خلفَهم بانَا[4]

---

(١) في "ت" هم الرجال.

(٢) دهشان مصدر «دهش» أي شُدِه وتحيّر، ومثلها دَهِش (م).

(٣) وجهت وجهي : مأخوذ من قول الله عز وجل : ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الأنعام ٧٩ .

(٤) في "أ" أعني الذي. [وقطع همزة الوصل في «باسمهم» ضرورة للوزن] (م).

بقطبهمْ أحمدَ المختار مِن مُضرٍ
وسيِّد الخلقِ أملاكاً وإنسانًا
كذا خليفتُهُ الصدِّيقُ ملجؤنا
وأعظمُ الناس إيماناً وإيقانًا
وبالمكنَّى أبي حفصِ الذي افتتحتْ
به المغالقُ حتى صعبُها دانًا[1]
وبالخليفةِ ذي النُّوريْنِ ثالثهمْ
أعنِي بذلك : عثمان بن عفَّانًا
وبالإمام أَخي المختار ذاك علِيْ
مَنْ في الوغَى بالعدا تُلْفِيهِ فرحانًا[2]
وبابن عثمانَ عبد اللّه سيِّدِنا
وابن البكيرِ إياسٍ ساد إعلانًا[3]
وحاطبٍ وبلالٍ ثم حمزة ذا
عمُّ النبيِّ كريمٌ ساد قحْطانًا[4]
بسعدهمْ وأبي طلحة وسهْلهمُ
كذا سعيد ظهير سادَ عدنانًا[5]
بصنْوه وعبيدِ اللّه ثمَّ أبي
حذيفةٍ وحبيبٍ زاد رضوانًا[6]
بابنِ الربيع إلهي وابنِ رافعهمْ
رفاعةٍ ثم زيد سيدًا كانًا[7]

---

(١) في "ت" انفتحت. وابو حفص : كنية عمر بن الخطاب.

(٢) في "ت" تلقاه فرحانا.

(٣) هو عبدالله بن عثمان بن عفان ﷺ ، وإياس بن ابي البكير شهد بدراً واحداً والمشاهد كلها (م).

(٤) حاطب بن ابي بلتعة (م).

(٥) سعد بن ابي وقاص، وابوطلحة زوج ام سليم اللذين دعا لهما النبي وبارك لهما، وسهل بن حنيف آخاه النبي ﷺ مع علي رضي الله عنه، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل (م). والشطر الأول غير مستقيم الوزن.

(٦) اقترح ان تقرا: بصنوه ابن عُبيدالله، وهو طلحة بن عبيدالله. (ومعلوم أن نسخ ديوان الأمير عبدالقادر المطبوعة كلها لم تحقق على المخطوطات) وابوحذيفة العبشمي، وحبيب بن بديل بن ورقاء (م).

(٧) سعد بن الربيع الأنصاري، ورفاعة بن رافع بن العجلان الأنصاري، وزيد بن ثابت الأنصاري.

وبالزبيرِ؛ أبي زيدٍ كذاك أبو
لبابةِ الخير مَن قدْ عزُّ إخوانَا[1]

وبابن عوفٍ وعمْروٍ؛ عقبةٍ وكذا
عبيدةٍ مَنْ لدينِ اللّه قد صانَا[2]

وعامرٍ وخنيسٍ ثم عاصمهمْ
ثم ابنِ صامتهمْ مَنْ زادَ إذعانَا[3]

عُوَيمرٍ ثم عتبانٍ وحُقَّ لهمْ
سيادةٌ ومعاذٍ طابَ أردانَا[4]

ومعوذٍ وأخيه ثم مسْطحهمْ
كذاكَ مالكهمْ مقدامُ ماشانَا[5]

قدامةٍ وهلالٍ لانظيرَ لهمْ
مرارةٍ وأبيٍّ : فضلهمْ بانَا[6]

إني توسلتُ ياربُّ الأنام ا بهمْ
أرجوك فضلاً وغفراناً وإحسانَا[7]

ثم الصلاة على المختارِ سيدِنا
ماصارتِ الشّيبُ يوم الحربِ شُبّانَا

****

(١) في ت: عزّ اخدانا [الزبير بن العوام، وابوزيد الانصاري، وابولبابة مولى رسول الله ﷺ]

(٢) عبدالرحمن بن عوف، وعمرو بن العاص، وعقبة بن عامر، وعبيدة بن الحارث (م).

(٣) في "أ" من زان إذعانا. [عامر بن ساعدة، وخُنَيس بن ابي السائب، وعاصم بن قيس حميّ الدبر او عاصم بن عدي، وعبادة ابن الصامت] (م).

(٤) عويمر ابوالدرداء، وعتبان بن مالك بن العجلان، ومعاذ بن جبل (م).

(٥) معوذ بن الحارث، واخوه عوف، ومسطح بن اثاثة، ومالك بن التيهان اول انصاري دخل في الإسلام (م).

(٦) قدامة بن مظعون، وهلال بن امية الانصاري كانت معه راية بني واقف يوم الفتح، ومرارة بن الربيع الأنصاري، وأبيّ بن كعب الأنصاري وابي بن ثابت الانصاري (م)

(٧) في "ت" ارجوك فضلاً وإحساناً وغفراناً.

نعم الأكرمين(*)

[من المتقارب]

ولم أرَ أعظمَ من نعمةٍ
مُنِحتُ ولم تكُ لي في حسابْ[1]

سأشكرها شكرَ وقت السرورِ
وأذكُرها ذكرَ وقتِ الشبابْ

أيا سابقاً بِالذي لم يجُلْ
بفكري ثواباً ونعمَ الثوابْ

كذا فلتكُنْ نِعَمُ الأكرمينَ
تفاجِي بلا مِنَّةٍ أو طلابْ

****

(*) قال الأبيات بعد تلقيه وسامًا من السلطان عبد المجيد.

(١) الأبيات في "أ"، ص: ٢٩ و"ت"، ص: ٦٣٩، ٦٤٠، و"ص"، ص: ١١٣، ١١٤ [والقافية في هذه الأبيات مقيدة] (م)

بمن أعتاض عنك(*)

[من الوافر]

ألاَ فَـاقْـرِ الخليلَ خليلَ باشَـا
سلاماً طيباً عبقاً نفيسَا[1]

له قُلْ : ياشـقيقَ الروح عنّي
علامَ هجرتَ بلدَتنا : بُرُوسَا ؟![2]

لقد كانتْ تفاخرُ كلَّ مصرٍ
وتُطلعُ من شمائلِكمْ شموسَا[3]

فعادتْ بعدكمْ شمْطاً عجوزًا
وكانت تجتَلِي بكمُ عرُوسَا[4]

وعهدِي سُوحُها بالوفدِ مَلأى
فأضحتْ بعدكمْ خلْوًا دَرُوسَا[5]

وكنتَ لنا بها غيْثاً مَريعاً
وكهفاً مانعاً ضُرًا وبوسَا[6]

وكان لنَا الزمانُ بكمْ ضحوكاً
فصارَ لنا بفقدكمُ عَبُوسَا

بمنْ أعتاضُ عنك ؟! فدتْكَ نفسِي !
وكنتُ بقربكمْ فرِحاً أنيسَا !!

****

(*) حُوِّلَ والي بروسة "خليل باشا" عنها، وكان صديق الأمير فقال القصيدة في ذلك.

(١) القصيدة في "أ"، ص : ٣٠ و"ت"، ص : ٥٩٢، و"ص"، ص : ٢٢٢، ٢٢٣

(٢) في "أ"، و"ت" مني علام.

(٣) في "ت" كم كانت.

(٤) الشمطاء : المرأة المسنة الذميمة.

(٥) سوحها : واحدتها ساحة : وهي الميدان الفسيح. درست : امحت وبليت.

(٦) في "ت" غيثا هتونا.

غلاء الدار بالجار(*)

[من الطويل]

أبَى القلبُ أن ينسَى المعاهدَ من بُرْسَا
وحبِّي لها بين الجوانح قد أرسَى(١)

أكلّفه سلوانَها وهْو مغرَمٌ
فهيهاتَ أن نسلُو وهيهاتَ أن ينسَى(٢)

تباعدتُ عنها ويحَ قلبيَ بعْدَها
وخلَّفتها والقلبُ خلفي بها أمسَى

بلادٌ لهَا فضلٌ على كلِّ بلدةٍ
سوى من يشدُّ الزائرون لها الحلْسَا(٣)

فمَا جازها فضلٌ ولاحلَّ دونها
سواها نجومٌ وهي أحسَبها شمسَا

عليٌ محالٌ بلدةٌ غيرها أرَى
بها الدينَ والدنيا طهورًا ولا نجْسَا

وجامِعها المشهورُ لم يكُ مثلُهُ
به العلمُ مغروسٌ به كم ترَى درْسَا!

(*) بعث بالقصيدة إلى صديق له "ببروسة" بعدما غادرها ليستقر في دمشق بسبب الزلازل التي كانت تضرب بروسة بين حين وآخر.

(١) القصيدة في "أ"، ص: ٣٣، ٣٤ و"ت"، ص: ٥٩٢، و"ص"، ص: ٢١٨، ٢٢٢

(٢) في "أ" أن يسلوا.

(٣) يريد البلدان التي عناها الرسول ﷺ في حديثه: «لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى» [رواه أبوداوود وأحمد والنسائي وابن ماجة. والحلس كساء رقيق على ظهر الدابة تحت البردعة] (م).

وسلطانُهــا أعنِي الأمـــيــرَ رئيـســهَــا

به افــتــخــرتْ "بُرْســا" فــأعظمْ به راسَــا

ومـنـزلـهُ الأعـلَـى حـكَـى لـيَ روضـــــــةً

به الـفـخـرُ قـد أمـسَى، به الـفـضلُ قـد أرسَى

بـهَـــا آلُ عـــثـــمـــانَ الجـــهـــابذةُ الأُلى

اشـــادُوا منارَ الدينِ وابتـــذلُوا النفـسَــا[1]

لـيـــبـكِهُم للـدّيـنِ من كـــان بـاكـــيًـــا

فـمـا شـامَ هذا الدينُ في عـصـرهمْ نحـسَـا![2]

فكم عـــالم فـــيــهمُ! وكم مِن مُــجــاهدٍ!

وكمْ من وليٍّ قـــد تـخـــيَّــرها رمـــسَــا[3]

الا ! لـيتَ شـــعـــرِي هل أحلُّ رياضَـــهـــا ؟

و" بنَّـارِ بـاشٍ "هلْ أطيبُ به نـفْـــســـا ؟![4]

فـيـصـبُـو بهـا في الـعـيـدِ من لـيس صـابيًـا

ويفـــرحُ مـــحـــزونُ الـفـــؤادِ ولا يأسَى

وكـــيف "جَكَرْكَــه" بـعــدنا وقـــصــورُها ؟!

تراها الـثــريًا إذ توسّطتِ القـــوسَـــا[5]

ومنْ تحـتِــهَــا نـهـرٌ جـرى مـتـدفِّـقًــا

يشــابه ثعـبـانًا وقـد خـشيَ الحـسَـا[6]

فــــهـــبْنِيَ أسلو أرضَـــهـــا بتـكلُّفٍ

فلـسـتُ بـســــــالٍ لـلأهـالِـي ولا أنسَى

---

(١) الجهابذة : الفصحاء المتميزون.

(٢) في "أ" الا بيكهم. و : فما شان. شام : شهد، واحس.

(٣) تخيرها رمساً: يريد اختارها دار إقامة دائمة حتى كانت وفاته فيها. والرّمس: القبر (م).

(٤) في الديوان: [حقي ١٧٣، وصيام ٢٢٠] «نارباش» مكان في بروسًا (م)..

(٥) جكركة : من احياء بروسة الجميلة.

(٦) خشي الحسًا : يريد سرعة النهر لإحساسه بالخطر كالثعبان.

ومن أجلهمْ حبِّي لها وتشوُّقي
وإنَّ غلاءَ الدار بالجار قد أمْسَى

أناسٌ بهمْ أهلِي سلوتُ وبلدَتي
وفي كلِّ آنٍ قد رأىَ ناظرِي أُنسَا

وفارقتُ أهلِي مذ تجمَّع شملُنا
وامّنْتُ لا غمّاً أخافُ ولا نكْسَا[1]

مكارمُ أخلاقٍ وحسنُ شمائلٍ
ولينُ طباعٍ واللطافةُ لا تُنْسَى

سقَى اللّه غيثاً رحمةً وكرامةً
أراضٍ بها حلَّ الأحِبةُ من بُرْسَا[2]

****

(٧) في "أ" وأمنت.

(١) أراض: حقّها النصب، وقد اضطر الشاعر إلى حذف الياء لاقتضاء الوزن ذلك.

كريم من كريم(*)

[من الوافر]

فــــذًا ديوان ســـيّـــدنا الكريمِ
سليلِ المصطفَى عـــبـــدِ الكريمِ[1]

مِن اللائِي تطِيــعُـــهمُ القـــوافي
وتنقـــادُ انقـــيـــادًا كـــالغـــريمِ[2]

وتـألفُـــهمْ مـــعـــانٍ شـــارداتٌ
دقـــيــقـــاتٌ أرقٌ من النســـيمِ

لهـــا في قلبِ ســـامـــعِـــهـــا دبيبٌ
دبيبُ البـــرءِ في ذاتِ الســـقـــيمِ[3]

وتُطرِبُ من يفـــرُّ من المثـــانِي
وتُـــرقـــصُ مـــن يـــكـــدر بـــالـــنـديمِ[4]

إذا هزُّوا اليـــراعَ أتوا بـــســـحـــرٍ
ذوُو التـــبـــيـــانِ والطبعِ السليمِ

وإنْ هزُّوا القنَا ونَضـــوا ســـيـــوفـــاً
تظلُّ عـــداتـهُمْ مـــثلَ الهـــشـــيمِ[5]

(*) تلقى الأمير عبد القادر نسخة من ديوان عبد الكريم الحمزاوي احد وجهاء دمشق أهداها إياه فقرظه بالقصيدة، ومدحه لانتسابه للأسرة النبوية الشريفة كما مدح شعره.

(١) القصيدة في "أ"، ص : ٣٤، ٣٥ و"ص"، ص : ٢٨٩، ٢٩٠

(٢) أخذ على استعمال "اللائي" لجمع الذكور، وهو اسم موصول لجمع المؤنث.

(٣) في "أ" في عظم سامعها. والبيت فيه تمثل بيت أبي نواس :

«فـــتـــمـــشت في مـــفـــاصلهم
كـــتـــمـــشي البـــرء في الســـقم»

(٤) المثاني : العود أو القيثارة.

(٥) في "أ" تطل عداتهم، والهشيم : الزرع الجاف.

نظرْتُ كـــلامـــه فـــبكيت حـــزنًا

ومـــا شـــهْمٌ لفـــضلٍ بالسليمِ

ولكنْ مـــسكنُ العَـــبـــراتِ منّي

بنجلهمُ وفـــخـــرهِمُ سليمِ

كـــريمٌ من كـــريمٍ من كـــريمِ

كـــريمٌ من كـــريمٍ من كـــريمِ[1]

إلى أبناءِ هاشمَ قـــدْ نَمـــتْـــهُ

ذوُو الأحـــســـاب والشـــرفِ العـــمـــيـمِ[2]

فـــذخْـــرِي حـــبُّـــهمْ عند احـــتـــيـــاجِي

ولا يغني حـــمـــيمٌ عن حـــمـــيـمِ[3]

****

(١) تكرار الكريم يساير أخلاق الأمير فهو كريم من كرماء يحب من يصفه بذلك.

(٢) نمته : رفعته.

(٣) يقول إنه يدّخر حبّ آل النبي رجاء أن ينفعه في يوم المشهد العظيم: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّماءُ كالمُهْلِ. وتكُونُ الجِبالُ كالعِهْنِ. ولا يَسْأَلُ حميمٌ حَميماً﴾ المعارج ٨-١٠ (م).

محامد العلم(*)

[من الكامل]

سـرِّح سـوادكَ والطروسُ سـمـاءُ
مـا للسِّمـاكِ لدى العروسِ عـلاءُ(1)

حـمـدًا لملهمِ أوْحـدِ العلمـاءِ مَـحْـ
ـمودٍ علومـاً مـالهـا إحـصـاءُ!

هو أعلم العلمـاء واحِـدُ عـصـرِهِ
هـو طـودُ سـرٍّ هُـدًى لـه إهـداءُ

وهوَ الإمـامُ وأهلُ كل مـحَـامـدٍ
مـا دعْـدُ ؟ مـا عُلْوَى ؟ ومـا أسـمـاءُ ؟!

أهدَى الورى السِّـحْـرَ الحـلال وكم لهُ
هـممٌ لهَـا دومـاً عُـلاً وولاءُ(2)

اللّـه أولَـى آل طـهَ سـؤددًا
ومـحـامـدًا لعلومِـهـا إمـلاءُ(3)

واللّـه ودُّهـمُ وأعـطـاهـمْ حِـمًـى
سـرّاً عـلاه للسـمـاكِ سـمـاءُ(4)

للّـه ! مـا أحلَـى وأمـلـحَ مـوردًا
أهـداهُ وهـو إلـى الهـمـومِ دواءُ !

****

(*) قال القصيدة في تقريظ تفسير "محمود الحمزاوي" مفتي دمشق الذي اهدى منه نسخة إلى الشاعر.

(1) القصيدة في "آ"، ص: ٣٥، و"ص"، ص: ٩٥، ٩٦، والسواد: كناية عن الحبر الأسود، والسماك: نجم ساطع. أراد في البيت أن معاني "الحمزاوي" عروس المعاني، وآثاره العلمية سيدة الآثار، ولا أحد يسمو إلى علاه.

(2) للشطر رواية أخرى هي: "همم لها دوما عطا وولاء".

(3) صرف (محامد) للضرورة الشعرية (م).

(4) آل الحمزاوي من الأشراف. وقوله «والله ودّهم» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عليه أجْراً إلا المودّةَ في القُرْبَى﴾ الشورى ٢٣ (م).

هدية وشكر(*)

[من الوافر]

تفـــضّلْ بالقَــبُــول لهـــا فـــإنِّي
أرَى الدنيـا جـمـيـعـاً دون قــدرِكْ[1]

لأنكَ بَضْـعَـةُ المخـتـارِ صِـرفًـا
فـفـخْـرُ الخلق طراً دون فــخـرِكْ[2]

وليسَ النـاسُ غــيـركمُ بنـاسٍ
إذا قـاسُـوا بحــارَهـم بـدرِكْ

وإنَّك إن قـبـلتَ ـ فـدتكَ نفـسِي ـ
لقَـدْ حَـمّلْـتَنِي أعـبـاءَ شكرِكْ

****

(*) أبيات أرفقها الأمير بهدية أرسلها إلى صديقه المفتي "محمود الحمزاوي".

(١) الأبيات أثبتت في "آ"، ص: ٣٦، وغير مثبتة في بقية المصادر.

(٢) المختار : أراد رسول الله ﷺ [وفي الحديث: «فاطمة بَضْعةٌ مني» أي جزء مني] (م).

ما أكمله(*)

[من المتقارب]

خَليلِي ! أتانِيَ منكَ الكتابُ
فللهِ دركَ ما أجملَهْ !؟[1]

أتانِي كما أنا ذا طالبٌ
فلا زلتَ في الوقتِ ذا أفضلَهْ[2]

ولا زلتَ حائز قصبِ السباقِ
إلى كلِّ فضلٍ علاً نائلَهْ

تهزُّ اليراعَ فتخْشى السيوفُ
وتصبحُ مهزومةً جافِلَهْ

وما زالتِ السمرُ والمرهفاتُ
لأقلامكمْ خدَمُاً ماثلَهْ

إذا كان فضلُ الغنَى باللسانِ
فأنتمْ لكمْ السنُ فاضلَهْ[3]

وإنْ كانَ خصاصُته كاتباً
فكمْ من خوَاصَ لكمْ كاملَهْ

(*) بين الأمير، ومفتي دمشق "محمود الحمزاوي" مراسلات، ومن تلك كتاب ورد عليه من المفتي أعجب به، فرد عليه بقصيدته "ما أكمله".

(1) القصيدة في "أ"، ص : ٣٦، و"ص"، ص : ٢٨١، ٢٨٢، وفي "أ" دره ما أجمله.

(2) الأبيات ١، ٢، ٨، ١٠ من هذا القصيدة مخالفة لقواعد القافية؛ فإنها تخلو من ألف التأسيس الثابتة في سائر الأبيات. فقوله: «أفضله» لا يتفق من جهة علم القافية مع «نائله» مثلاً. وسناد التأسيس، من عيوب القافية.

(3) في "أ" فضل الفتى.

لئنْ كـــان لـفظُ اســـمِكمْ مـــفـــردًا

فـــمـــعناكمُ الجـــمعُ مـــا أشـــملَهْ ؟!

ولو كـــانَ بـالفـــضْل يُرْقَى الســـمـــاكُ

رقـــيـــتُم وأثـقلْـتُمُ كـــاهلَهْ[1]

جـــمـــعتَ آداباً وفـــضلَ انتـــســـابٍ

فناعِـــتُكُمْ قـــال: مـــا أكـــمَلَهْ

****

(١) في "أ": فلو كان بالفضل.

عود وورد(*)

[من الطويل]

تبخّرْ بعودِ الطيبِ لا زلتَ طيّباً
ورشَّ بماءِ الزهرِ يا خِلّ والوَرْدِ[1]

وما بُغْيَتي هذا ولكنْ تفاؤُلاً
بعَوْدٍ إلى عُودٍ ووِرْدٍ إلى وَرْدِ[2]

****

(*) رأى الأمير ماء متدفقاً من ناعورة البئر قرب المدينة المنورة، فأعجب به فقال البيتين.

(1) البيتان في "ت"، ص : ٧٠٤، و"ص"، ص : ١٤٣، ١٤٤، ولم تثبتا في "أ" وفي "ت" بحر.

(2) في البيت حنين الشاعر إلى وطنه، وتفاؤله بالعودة إليه.

مناجاة أُحُد(*)

[من الطويل]

تذكـــرتُ وشْك البـينِ قـــبل حلولـهِ
فـجــادتْ عـيــونِي بالدمــوعِ على الخــدِّ

وفـي القلبِ نـيـــرانٌ تـاجَّج حــــرُّها
ســرتْ في عظامي ثم صــارتْ إلى جلدِي(١)

ومـــاليَ نفْسٌ تســـتطيعُ فـــراقَـــهمْ
فـيــاليتَ قـبل البينِ ســارتْ إلى اللحْـدِ

إلى اللّهِ أشكُو مــــالاقِي من النوَى
وحــملِي ثقــيلٌ لا تقــومُ به الأيدِي(٢)

بطيـــبـــةَ طاب العــيشُ ثم تمرَّرَتْ
حــلاوتُه فــالنحسُ أرْبىَ على السـعْـدِ(٣)

أردّدُ طرفِي بين وادِي عـــقـــيـــقــهَـــا
وبينَ "قُــبـــاهَا" ثمَّ الوِي إلى أحُــــدِ(٤)

منـازِلُ مَن أهـواهُ طفـــلاً ويافـــعـــاً
وكـــهـــلاً إلى أنْ صـرتُ بالشــيبِ في بُرْدِ

****

(*) الأبيات في "أ"، ص : ٤٢، ٤٣ و"ت"، ص : ٧٠٥، و"ص"، ص : ١٤١، ١٤٢ و"ت"، ص : ٥٦

(١) في "أ"، و"ت" سارت في عظامي.

(٢) في "أ"، و" من القوى.

(٣) في "ت"، ثم تمر مرت.

(٤) قباها : قباء أصلاً فيها بني أول مسجد في المدينة سمي باسمها.

جنات دُمَّر(*)

[من الكامل]

عُجْ بِي ـ فـديَتُكَ ـ في أباطحِ دُمَّرِ
ذات الرياضِ الزاهراتِ النضَّرِ(1)

ذات المياهِ الجارياتِ على الصَّفا
فكأنها من ماءِ نهرِ الكوثرِ(2)

ذات الجداولِ كالأراقمِ جريهَا
سبحانه من خالقٍ ومُصوِّرِ(3)

ذات النسيمِ الطيبِ العطرِ الذي
يُغنيك عن زبَدٍ ومسْكٍ أذْفرِ(4)

والطيرُ في أدواحها مترنِّمٌ
برخيمِ صوتٍ فاق نغمةَ مِزْهَرِ(5)

مَغنًى به النساكُ يزهو حالُها
ما بينَ أفكارٍ وبين تفكُّرِ(6)

(*) في دمر إحدى أجمل مصايف دمشق بنى الأمير قصراً يصطاف فيه، وفيه فاضت روحه وارتقى إلى الملأ الأعلى رحمه الله.

(1) القصيدة في "آ"، ص: 51، و"ت"، ص: 627، و"ص"، ص: 169، 170 و"ن"، ص: 59، وعج بي: مل واسترح.

(2) الصفا: الصخر الأملس، والكوثر نهر في الجنة ذكره القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ الكوثر 1.

(3) الأراقم: الحيات.

(4) زبد: مادة عطرة تستخرج من سنور الزباد. [مسك أذفر: ذكي الرائحة، جيد إلى الغاية] (م)

(5) في "آ"، و"ت" مزمر. [والمزهر: العود؛ الآلة الموسيقية المعروفة] (م).

(6) في "آ" يزكو حالها.

مــــــاشـــــئتَ أن تلقَى بهَــــا من نـاسكٍ

أوْ فــــــاتكٍ في فـــــتكهِ مـــــــتطوِّرِ

أينَ الرصــــافــــةُ والسَّــديرُ وشـــعبُ بوٌّ

انٍ ... إذا انصــــفــتــهَـــا من دُمَّـــرِ ؟![1]

****

---

(١) الرصافة: إما المدينة العراقية أو السورية، وهما مدينتان تمتازان بحدائقهما الغناء، والسدير : قصر من قصور ملوك المناذرة في العراق، قال "المنخل اليشكري" يذكره :

«فــإذا شـــربـــت فــإنـــني   رب الخـــورنـــق والســـديـــر

وإذا صـــحـــوت فــإنـنـــي   رب الشـــويـهـــة والبـــعـــيـــر»

[شرح حماسة أبي تمام للأعلم الشنتمري: ت.د. علي المفضل حمودان، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي - ط(١) ١٩٩٢]

وشعب بوان : من غوطات فارس، ومن اضخم قصورها في عهد كسرى وهو الذي عناه المتنبي في قصيدته المشهورة بقوله :

«يقـــول بشـــعب بَوّان حـــصـــاني: أعن هذا يُســـارُ إلى الطعـــانِ ؟!»

[ديوان أبي الطيب المتنبي، بشرح البرقوقي، تحقيق: د.عمر فاروق الطباع، ٥٥٧/٢، دار الأرقم - بيروت د.ت].

الناعورة العاشقة(*)

[من الطويل]

وناعـــورةٍ ناشــــدتُهـــا عن حنينهَـــا
حنـين الحـــوارِ والدمـــوعُ تسـيلُ[1]

فـــقـــالتْ وأبدتْ عـــذرَها بمقـــالِهـــا
ولـلـصــــدق آياتٌ عـليـــــهِ دليلُ !

ألستَ تـرانِـي الـقمُ الـثـــديَ لحظـةً
وأُدفعُ عـنـهُ والبـــــلاءُ طويـلُ[2]

وحـــالِي كـحـــالِ العـشق باتَ مـحـالفـاً
يـدور بـدارِ الحــبِّ وهْـــو ذليـلُ[3]

يطَاطئُ حــــزنـاً رأسَـــه بتــــذلُّلٍ
ويرفعُ أخـــرى والعـــويلُ عـــويلُ

****

(*) ارتجلها في مادبة غداء اقيمت على شرفه في حماه، وفي اثنائها استرعت ناعورة انتباهه، وكان ذلك عام ١٢٧٧هـ، ١٨٨٢م.

(١) الأبيات في "ت"، ص: ٦٦٨، و"ص"، ص: ٢٨٣، و"ن"، ص: ٦٠

(٢) الثدي: هنا كناية عن الدلو المملوء بالماء.

(٣) العشق: يقصد العاشق.

وليمة الله!!

[من الطويل]

فلم يكنِ المولى لأكلِ عصيدةٍ
دعاكمْ ولا للجُبنِ والخُبزِ والخلِّ[1]
ولكنْ دعاكُمْ للحلاوةِ والشِّوا
وكلٌّ لذيذ طاب من أنفَسِ الأكْلِ !

****

(١) البيتان في "أ"، ص : ٥٢، ٥٣، و"ص"، ص : ٢٧١، والعصيدة طعام معروف في الوطن العربي وإن اختلفت مواد عمله بين منطقة وأخرى.

هـ - التصوف

الحمدُ للّه

[من الكامل]

الحــمــــدُ للّهِ الذي قـــد خـــصَّنِي
بصـــفــــاتِ كلِّ الناس لا النسنَاسِ[1]

الجـــودُ والعلمُ النفـــيسُ وإنَّني
لأنَا الصـــبــورُ لدَى اشــتــدادِ البــاسِ

وتحـــدُّثي شكرًا لنِعــمـــةِ خـــالقِي
إذْ كـــان فِي ضـــمْني جــمـــيعُ الناسِ[2]

****

(١) الأبيات في "أ"، ص : ٥٢، و"ص"، ص : ٢١٥

(٢) ذكر حقي أن الشطر الثاني له رواية أخرى هي : "وهو الذي بي جامع للناس"، منوهًا إلى أنه ورد مضمنًا في قصيدة "الشيخ عبد المجيد الخاني" التي مدح فيها الأمير، والمثبتة في كتاب "تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر"، ص ٢٢٣ و قد رجعت إلى الكتاب فلم أجد الأبيات في الموطن المحدد، في نسخة «دار اليقظة العربية ١٣٨٤ - ١٩٦٤».

أستاذي الصوفي(*)

[من الطويل]

أمسعودُ ! جاء السعدُ والخيرُ واليُسْرُ
وولَّتْ جيوشُ النحسِ ليسَ لها ذكرُ[1]

ليالِي صدودٍ وانقطاعٍ وجفوةٍ
وهجرانِ ساداتٍ ... فلا ذُكرَ الهجرُ[2]

فأيامُها أضحت قتاماً ودجنةً
لياليَ لا نجمٌ يضيء ولا بَدْرُ[3]

فراشِيَ فيهَا حشوهُ الهمُّ والضنى
فلا التذُّ لِي جنبٌ ولا التذُّ لِي ظهرُ[4]

ليالِي انادِي والفؤادُ متيَّمٌ
ونارُ الجوى تشوِي لما قد حوَى الصدرُ[5]

أمولايَ ! طال الهجرُ وانقطعَ الصبرُ
أمولايَ ! هذا الليلُ هل بعده فجْرُ؟![6]

(*) ذكر في "ت"، ص : ٦٩٤، ٦٩٥ أن القصيدة قالها الأمير، بعد أن انقطع إلى العبادة في غار حراء بمكة المكرمة إلى أن جاءته البشرى بالرتبة الكبرى على عادة المتصوفة.

(١) القصيدة في "أ"، ص : ٤٣، ٤٨ و"م"، ص : ١٣٩٨، ١٤٠٢، و"ت"، ص : ٦٩٥، ٦٩٩، و"ص"، ص : ١٨٢، ٢٠٤ .
ومسعود : يريد نفسه تعبيراً عن فرحته، وسعادته للتعرف إلى أستاذه "محمد الفاسي" مقدم الطريقة الصوفية الشاذلية، والذي أخذ عنه التصوف بمكة المكرمة.

(٢) في "أ"، و"م"، و"ت" ولا ذكر. والسادات : عني بهم علماء الصوفية.

(٣) في "م" ليالي نهارها قتام، ورضة. وليلها. القتام : الغبار الأسود. والدجنة : الظلام، والدخنة : الدخان.

(٤) في "م" ليالي بها فراشي قد حشا. وفي "م" فما التذلي.

(٥) في "م" أقول والفؤاد والجوى وقودها ما حوى.

(٦) في "م" وهل بعده.

اغِثْ يامــغــيثَ المســتــغـيــثين وَالـهــاً

ألمَّ به من بعــدِ أحــبــابه الضــرُّ[١]

أســائلُ كلَّ الخلقِ هل من مــخــبِّــرٍ؟!

يحــدِّثني عنكم فــينعــشَني الخــبْــرُ[٢]

إلى انْ دَعــتْني همَّــةُ الشــيخ من مــدىً

بعــيــدٍ ألا فــادنُ فــعندِي لكَ الذخْــرُ[٣]

فــشــمَّــرتُ عن ذيلِي الإطارَ وطار بِي

جناحُ اشــتــيــاقٍ ليس يُخــشى له كسْرُ[٤]

ومــا بعــدتْ عن ذا المحبِّ تهــامــةٌ

ولم يثنهِ ســـهلٌ هناكَ ولا وعْــرُ[٥]

إلى أن انـخْـنَـا بالبطاحِ ركــابَنا

وحطَّت بهــا رحلي وتمَّ لهــا البــشْــرُ[٦]

بطاحٌ بهـــا البــيتُ المعظَّم قــبلةٌ

فــلا فــخــرَ إلا فــوقــه ذلك الفــخْــرُ

بطاحٌ بهــا الصــيــدُ الحلالُ مــحــرّمٌ

ومن حلَّهــا حــاشــاه يبــقَى له وِزرُ[٧]

---

(١) في "م" بيت "اغث يا مغيث..." غير موجود.

(٢) في "م" أسائل من لاقيت هل من منبئ.

(٣) في "م" من ند. و: من بعيد تعال عندنا ذلك.

(٤) في "م"، و"ت" ذيلي الإزار. وفي "م" اشتياقي.

(٥) في "م" وما بعد تهامة عن معنى. ولا ناء عن صب حجاز ولا غور.

(٦) في "م" فلما انخنا. و: حطت رحالها وتم له السفر.

(٧) في "م" فليس يبقى.

اتاني مربّي العارفينَ بنفسهِ
ولا عجبٌ فالشأنُ أضحى له أمرُ[(١)]

وقال : فإني منذُ أعداد حجةٍ
لمنتظرٌ لقياك يا أيها البدْرُ ![(٢)]

فأنتَ نَبيٌ مذ "السْتُ بربكم" ؟!
وذا الوقتُ حقاً ضمَّه اللوحُ والسطْرُ[(٣)]

وجدُّك قد أعطاكَ مِنْ قدمٍ لنا
ذخيرَتَكمْ فينا ويا حبذا الذخْرُ ![(٤)]

فقبَّلتُ من أقدامهِ وبساطِهِ
وقال : لك البُشْرى بِذا قُضيَ الأمرُ[(٥)]

والقى على صُفْري بإكْسيرِ سِرِّهِ
فقيلَ له : هذا هو الذهبُ التبرُ[(٦)]

واعني به : شيخَ الأنامِ وشيخَ منْ
له عِمَّة في عذبةٍ وله الصدرُ[(٧)]

عياذِي ملاذي عُمدتي ثم عُدَّتي
وكَهْفِي إذا أبدى نواجذَه الدهرُ[(٨)]

غياثِيَ من أيدي العداةِ ومنقذِي
مُنيري مُجيري عندمَا غمَّنِي الغمرُ[(٩)]

---

(١) في "م" فالشأن فيه امر.
(٢) في "م" وقالي :"إني مذ كذا كذا حجة لتنتظر، وانتم الآن لم تدر". الحجة : السنة.
(٣) في "م" فانت نبي. وذا وقت ما تشمن اللوح والسطر.
(٤) في "م" فحدك قد اعطاك حينئذ لنا، نخيرتكم هنا. الجد : يريد رسول الله (ص).
(٥) في "م" قد قضى.
(٦) في "م" من إكسير. و: فصفري بعد انه الذهب. الصفر بضم الصاد : النحاس الأصفر.
(٧) في "م" بل شيخ كل من و: بعذبة، وفي "ت" ذي غذبة [والفصيح: عمامة، والعمّة: النوع يقال هو حَسَن العمة] (م).
(٨) في "م" إذا ما ابدى انيابه الدهر، وفي "ا" نواجزه.
(٩) في "م" البيت :
"ومنقذي من أيدي الردى ومخلصي
ولا حين النجاة ارغمني عمر"

ومحيي رفاتي بعد أن كنتُ رمَّةً
وأكسبني عمرًا لعمري هو العمرُ[1]

محمَّدُ الفاسيّ له من محمَّدٍ
صفيُّ الإله الحالُ والشِّيم الغُرُّ[2]

بفرْضٍ وتعصيبٍ غدا إرثُه لَهُ
هو البدْرُ بين الأوليَا وهمُ الزهْرُ[3]

شَمائلُه تغنيكَ إن رمتَ شاهدًا
هيَ الروضُ لكن شقَّ أكمامَه القطرُ[4]

تَضوَّعَ طيبًا كلُّ زهرٍ بنشْرهِ
فما المسكُ؟ ما الكافور؟ ما النَّدُّ؟ ما العطرُ؟![5]

وما حاتمٌ؟ قل لي وما حِلمُ أحنَفٍ؟!
وما زهدُ إبراهيمَ أدهمَ؟! ما الصبرُ[6]

صَفوحٌ يغضُّ الطرف عن كلِّ زلةٍ
لهيبتهِ ذلَّ الغضنْفرُ والنمْرُ[7]

---

(١) الرفات: حطام الجسد، وبقاياه. و: رمة بكسر الراء وضمها: بقايا عظم الميت.

(٢) في "م" رسول الإله الحال [وقد ذكر الأمير الشاعر شخصية محمد الفاسي كثيراً في كتاب المواقف، وأخذ عنه وكان شيخ الطريقة الشاذلية] (م).

(٣) في "م" الشطر الأول: "بارت بتعصيب وفرض كليهما".

(٤) في "م" البيت

"ويكفيك شاهدا شمائله التي   كأنها رياض شق كمامها القطر".

الإكمام: غلاف رقيق يحيط بالزهر.

(٥) في "م" تفوح طيبا.

(٦) في "م" البيت:

"وما جود حاتم وحلم احنف   وزهد أدهم الإمام وصبر"

حاتم: هو حاتم الطائي الشاعر العربي الذي عاش في الجاهلية يضرب به المثل لكرمه، و الأحنف: واحد من حكماء العرب كذلك. و: إبراهيم أدهم: احد نساك سورية الذي صرف نفسه عن متاع الدنيا عبادة لله وحده.

(٧) في "م" صفوح، سموح، يغضي ذلة وتفضي مهابة له الأسد والنمر.

هشوشٌ بشوشٌ يلقى بالرحبِ قاصداً
وعن مثلِ حبِّ المزْنِ تلقاه يفترُ
فلا غضبٌ حاشا بأنْ يستفزَّهُ
ولا حدَّةٌ كلا ولا عندهُ ضجرْ[1]
لنا منه صدرٌ ما تكدِّره الدِّلا
ووجهٌ طليق لايزايلُه البشرُ
ذليلٌ لأهل الفقر لاعنْ مهانةٍ
عزيزٌ ولا تيهٌ، لديهِ ولا كِبرْ[2]
وما زهْرةُ الدنيَا بشيءٍ له يُرَى
وليس لها - يوماً - بمجلسهِ نشرْ[3]
حريصٌ على هديِ الخلائِق جاهدٌ
رحيمٌ بهم بَرٌّ خبيرٌ له القدْرْ[4]
كساه رسولُ اللّه ثوبَ خلافةٍ
له الحكمُ والتصريفُ والنهيُ والأمرْ[5]
وقيلَ له : إن شئتَ قل : قدمِي علا
على كلِّ ذي فضلٍ أحاط به العصرْ[6]

---

(١) في "م" اوحده تستفزه، و: صفاته عن أوج الكمال ما تزور.

(٢) في "م" دليل لأهل الفقر، في البيت معنى قوله تعالى : ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾. المائدة : ٥٤ .

(٣) في "ت" له ترى. وفي "م" ورد بهذه الصورة:

"لديه شيء لا
ولا لها يوما في مجالسه ذكر نشر".

(٤) في "م" في البيت :

"حريص على هداية الخلق جاهدا
رحيم بهم كأنه الوالد البر"

وفي البيت معنى الآية : ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾. التوبة : ١٢٨

(٥) في "م" والنفع والضر.

(٦) في "م" كل عارف.

فـــذلك فـــضلُ اللّـه يؤتيـــهِ مـنْ يشَـــا

وليس على ذي الفـضلِ حـصـرٌ ولا حَـجْـرُ[1]

وذا وأبيكَ الفـــخــرُ، لافـــخـــرُ من غـــدا

وقـــد ملَك الدنيـــا وســـاعـــدَه النصْــرُ![2]

وهذا كـــمـــــالٌ، كَلَّ عن وصفِ كُنْهِــــهِ

فـــمنْ يدَّعي هذا فـــهـــذا هو السِّـــرُّ[3]

أبو حـــــسَنٍ لو قـــدْ رآه أحــبَّـــــةُ

وقـــال له : أنتَ الخليـــفـــةُ يا بحـــرُ![4]

ومـــا كلُّ شـــهمٍ يدَّعي الســبقَ صـــادقٌ

إذا سِـيقَ للمـــيـــدان بَانَ لـهُ الخـــســـرُ[5]

وعنـد تجلِّي النقعِ يظهـــــرُ من عَــــلا

على ظهْــرِ جـرْدَبْلٍ ومن تحــتــه حُـمْــرُ[6]

ومـــــا كلُّ من يعلُـو الجـــوادَ بفــــارسٍ

إذا ثـارَ نقعُ الحــرب والجــوُّ مــغْــبَــرُّ[7]

فـــيــحـــمي ذمـــارًا يوم لاَ ذُو حَـــفـــيظةٍ

وكلُّ حـــمـــاةِ الحيِّ من خـــوفـــهمْ فــرُّوا[8]

---

(١) في "م" وذلك. و: فما على فضل الله حظر ولا حجر. وفيه معنى الآية : ﴿فَذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾. الجمعة : ٤.

(٢) في "م" هذا وأبيك.

(٣) في "م" البيت :

"فـــهـــذا هكذا الكمـــال وإلا لا ــــــ فـــمن يدعي الكمـــال هذا هو الســـر".

(٤) في "م" الخليفة لاغير.

(٥) في "م" البيت :

"ومـــا كل مـدع الخـــلاقـــة صـــادقـــاً ــــــ إذا سـيق للمـــســـيـــار بان له والحـــر".

(٦) في "م" البيت :

وعندمـــا يتـــجلى الغـــبـــار تبـــدأ من ــــــ على هر أجـــرد ومن تحـــتـــه غـــيـــر".

النقع : الغبار. والجردبل : الفرس القوي. والأجرد : فرس قصير الشعر، والحمر : جمع حمار : العير.

(٧) في "م" من ركب. و: إذا حمي الوطيس.

(٨) في "م" فيحمى الزمان. و: يحام وكل شجعان الحي قد فروا.

ونادى ضعيفُ الحيِّ من ذا يُغيثُنِي ؟!

أما من غيورٍ؟! خانني الصبرُ والدهرُ[1]

وما كلُّ سيفٍ ذو الفقارِ بحدِّهِ

ولا كلُّ كرّارٍ عليًّا إذا كرُّوا[2]

وما كلُّ طيرٍ طار في الجوِّ فاتكاً

وما كلُّ صيّاحٍ إذا صرْصرَ الصقْرُ[3]

وما كلُّ من يُسْمى بشيخٍ كمِثْلِهِ

وما كلُّ مَن يُدْعى بعمْرٍو إذاً عمْرُو[4]

وذا مَثَلٌ للمدَّعِينَ ومن يكنْ

على قدمِ صَدقٍ طبيباً له خبْرُ[5]

فلا شيخَ إلا من يخلِّص هالكاً

غريقاً ينادِي : قد أحاط بي المكْرُ[6]

ولا تسألنْ عن ذي المشائخِ غيرَ مَنْ

له خِبرةٌ فاقتْ وما هو مُغْترُّ[7]

تصفَّحَ أحوالَ الرجالِ مجرِّباً

وفي كلِّ مصرٍ بل وقطرٍ له أمْرُ[8]

---

(١) في "م" فإنني في أيدي العدا فلا يدي أسر.

(٢) في "م" كل فارس. ذو الفقار : سيف علي بن أبي طالب [علياً. كذا وردت، والوجه أن يقال: عليٌّ] (م).

(٣) في "م" فلا طير صارح إذا صرصر الصقر.

(٤) في "م" من تسمى بالشيخ هو ذا. و: من يدعي عمدا ذا عمر. وفي "ت" ولا كل عمرو : أراد عمرو بن العاص [وأرجح أن يكون المقصود عمرو بن معد يكرب، وقد ضربت العرب به المثل كقول أبي تمام:

إقدامُ عمرو في سماحة حاتم   في حلم أحْنفَ في ذكاء إياس

قال التبريزي في شرح ديوانه: هو عمرو بن معد يكرب، وضُرِب المثل بسيفه الصمصامة فقيل: صمصامة عمرو] (م).

(٥) في "م" فهذا أمثال المدعين.

(٦) في "م" غدا وقد أحاط به.

(٧) في "م" عن المشائخ و: فاقت بالأمر ماهو.

(٨) في "م" منهل ومصر.

فـــأنعمْ بمصــــرٍ ربّتِ الشـــيخ يافـــعـــاً

وأكـــــــرِمْ بقُطْرٍ طارَ منـه لـه ذكْـــــــرُ[1]

فــمكّة ذي خــيـــرُ البــلادِ فـــديثُـــهـــا

فمَـا طاولتْـهَـا الشمسُ - يومـاً- ولا النسْرُ[2]

بهـا كـعْـبـتـــانِ : كـعـبـةٌ طاف حـولـهَـا

حــــجـــيجُ الملا بلْ ذاكَ عندهمْ الظُّفْـــرُ[3]

وكـعـبـــةُ حـــجُـــاجِ الجنَابِ الذي ســمَـــا

وجلَّ فـــــلا ركْنٌ لديهِ ولا حِـــــجْــــرُ[4]

وشــتَّـــان مـــا بينَ الحـجـيـجَـيْنِ عندنَـا !

فـــــهـــــذَا لـه ملْكٌ وهـذا لـه أجْـــرُ![5]

عـــجـبتُ لبـــاغِي الســـيـــرِ للجـــانبِ الذِي

نقــــدَّس ممَّـا لا يجــدُّ لـهُ الســـيْـــرُ[6]

ويُلْقِي إلـيــــــه نـفــــســـــــهُ بفنـائـهِ

بـصــدقٍ تســاوَى عندهُ الســرُّ والجــهْــرُ[7]

فــيلقى مناخَ الجــودِ والفـضلِ واســعًــا

ويلقَى فـراتًـا طاب نـهــلاً فَـــمـــا القطْرُ؟![8]

---

(١) في "م" البيت :

"فنعم البــلاد ربت الشـيـخ يافــعــاً   وخـيــر البــلاد صــار منهـا له ذكـر".

(٢) في "م" فمكة خير بلدة خير بقعة. وما طاولتها [النسران كوكبان في السماء؛ وهذا هو المعنى المقصود] (م).

(٣) في "م" وأنا ذاك.

(٤) في "م" حجر: أراد الحجر الأسود، وقد سكن الجيم لضرورة الوزن، وهو مباح للشاعر. [والحِجر (بكسر الحاء وسكون الجيم) الحائط المستدير من جهة الميزاب، وكلام الأمير هنا يجري على منهج الصوفية] (م).

(٥) في "م" عندما.

(٦) في "أ" لم لا يجد. في "م" تقدس كيف لا يحد به. في "ت" تقدس سرا.

(٧) في "م" إليه ويلقى.

(٨) في "م" فراتاً طاب ورده والصدر.

ويلقى رياضاً أزهرتْ بمعارفٍ

فيا حبّذا المرأى ! ويا حبّذا الزهْرُ !

ويلقى جِنانًا فوق فِردوسِهَا العُلا

وما لجِفانِ الخلْدِ إن عبَقتْ نشْرُ

ويشربُ كاسًا صرفةً من مُدامةٍ

فيا حبّذا كأسٌ ! ويا حبّذا خمْرُ ![1]

فلا غَوْلَ فيها لا ولا عنها نزفةٌ

وليسَ لها بردٌ وليسَ لهَا حَرُّ[2]

ولا هُوَ بعد المزْجِ أصْفَرُ فاقعٌ

ولا هُوَ قبل المزجِ قانٍ ومحْمَرُّ[3]

معتّقةٌ من قبلِ كِسرى مَصونةٌ

وماضمَّها دنٌّ ولانالهَا عصْرُ[4]

ولا شانَها زِقٌّ ولا سارَ سائرٌ

بأجْمالهَا كلاًّ ولا نالَها تَجْرُ[5]

فلو نظرَ الأملاكُ ختمَ إنائهَا

تخلَّوْا عنِ الأملاكِ طوعاً ولا قَهْرُ[6]

ولو شمَّتِ الأعلامُ في الدرسِ ريحَها

لما طاشَ عن صوبِ الصوابِ لها فِكرُ[7]

(١) في "م" فيشرب. وفي البيت الآتي: وليس بها، في "م"، و"ت"، والغول من غالية الخمر: إذا افسدت عقله، ونهبت به.

(٢) استفاد الشاعر من الآية الكريمة: ﴿لا فِيها غَوْلٌ ولا هُمْ عنها يُنْزَفُون﴾ الصافات ٤٧. والشاعر يتحدث عن خمرة الصوفية المعنوية (م).

(٣) في "م" قان محمر.

(٤) في "م" ولا ضمها.

(٥) في "م"،

"زق ولا حسدا حادي | بأحمالها ولا تملكها التجر".

(٦) في "م" فلو رات. و: تخلت عن. وكذلك في "أ" و"ت".

(٧) في "م" لما طاشوا عن صوب الصواب وما اغتر.

فيا بُعدهمْ عنها ! ويابئسَ مارضُوا !
فقدْ صدُّهمْ قصدٌ وسَيْرَهُمْ وزرُ[1]

هي العلمُ كلُّ العلمِ والمركزُ الذي
به كلُّ علمٍ، كلُّ حينٍ له دوْرُ

فلا عالمٌ إلاَّ خبيرٌ بِشرْبها
ولا جاهلٌ إلا جهولٌ بها غِرُّ

ولا غبنَ في الدنيا ولا من رَزيئةٍ
سوَى رجُلٍ عن نيلهَا حظُّه نزرُ[2]

ولا خُسْرَ في الدنيا ولاهو خاسرٌ
سوَى وَالهٍ والكفُّ من كاسِها صِفرُ[3]

إذا زمْزم الحادِي بذكْرِ صفاتِها
وصرَّحَ ماكنَّى ونادَى نأىَ الصَّبرُ[4]

"وقال : اسقني خمرًا وقل لي : هيَ الخمرُ
ولا تَسْقِني سرًا إذا أمكَن الجهرُ»

"وصرحْ بمن تهوَى ودعنِي من الكُنَى
فلا خيرَ في اللذاتِ من دونِها سِتْرُ»[5]

ترى سائقيهَا كيف هامتْ عقولُهمْ
ونازلهمْ بسطٌ وخامرهمْ سكْرُ[6]

وتاهُوا فلم يَدْرُوا منَ التيهِ مَنْ هُمُ
وشَمْسُ الضحَى من تحتِ أقدامهمْ عفْرُ

وقالوا : فمنْ يُرجَى من الكون غيرُنا ؟!
فنحنُ ملوكُ الأرضِ لا البيضُ والحمْرُ[7]

---

(١) في "م" عماهم قعدوا له. و: فقصدهم قصد. وكذلك في "ت".
(٢) في "م" فلا. و: لا هو مغبون. و: رجل من شربها.
(٣) في "م" سوى من غدا.
(٤) في "م" ما كنى لا خوف ولاحذر.
(٥) البيتان لابي نواس والأول منهما هو مطلع القصيدة «الا فاسقني خمراً» [ديوان ابي نواس، شرحه وضبطه: د.عمر فاروق الطباع. دار الأرقم – بيروت ١٩٩٨ – ص٢٢٢].
(٦) في "م" ترى الذائقين منها هامت. وايضا في "أ" و"ت".
(٧) في "م" البيت :
"قالوا : من الذي له الملك غيرنا !   فنحن الملوك لا سودان ولا حمر"

تميـــدُ بهمْ كـــأسٌ بهـــا قـــد تولَّهُـــوا
فـليسَ لـهـمْ عـــــرفٌ وليسَ لـهمْ نـكْرُ[١]

حـــيـــارَى... فـــلا يدرونَ أين توجَّـــهُـــوا
فـليسَ لـهمْ ذكــــــرٌ ولـيسَ لـهمْ فكْرُ[٢]

فـــــيطربـهـمْ برقٌ تـالـقَ بـالحـــــمى
ويُرقــــصـــــهمْ رعــــدٌ بسلْـعٍ له أزْرُ[٣]

ويسكرهـمْ طيبُ النســـيـمِ إذا ســـرَى
تظنُّ بهمْ ســحـــراً وليس بـهم ســحْـــرُ[٤]

وتبكيـــهمُ وُرْقُ الحـــمـــائم في الدجَى
إذا مـــا بكتْ مَن ليس يُدْرى له وكْـــرُ[٥]

بـحـــزنٍ وتلحـينٍ تجـــاوبتَـــا بمَا
تذوبُ له الأكــبـادُ والجلمـدُ الصــخْـــرُ[٦]

وتســبــيـــهمُ غـــزلانُ رامـــةَ إن بدَتْ
واحـدَاقُـهـا بيضٌ وقـامـاتُـهـا سُـمـرُ[٧]

وفي شـمِّـهــا حــقًّــا بذلنا نفـوسنَا
فـــهـــانَ علينا كلُّ شـيء له قـــدْرُ[٨]

ومِلـنَـا عـن الأوطانِ والأهـلِ جـــــمـلـةً
فـلا قـاصـراتُ الطرفِ تثني ولا القـصْـرُ[٩]

---

(١) في "م" بهم افراحهم. و: فمالهم.
(٢) في "م" فمالهم. و: ومالهم.
(٣) في "م" له أزر [والأزر هنا: القوة والشدة] (م).
(٤) في "م" نسيم يحد. و: وما بهم.
(٥) في "م" بالدجى. و: له وكر [واخترنا رواية التحفة والمواقف].
(٦) في "م" تجاوب تلك هذه بتخزن.. الجلمد : الصخر، الحجر.
(٧) في "م" واحدقها نبل، واجيادها سمر [رامة موضع في طريق البصرة إلى مكة. ويذكرها الشعراء كثيراً. وهناك مواضع اخر باسم رامة] (م).
(٨) في "م" وفي شم ريحها. و : فهانت وهان كل شيء.
(٩) في "م" الطرف غنت، وفي البيت معنى قوله تعالى : ﴿وعِندَهُمْ قاصِراتُ الطَّرفِ عِين﴾. الصافات : ٤٨ .

ولا عنْ أُصَيْحَابِ الذوائبِ من غدتْ

ملاعبهمْ منّي : الترائبُ والنحْرُ[1]

هجرنَا لها الأحبابَ والصحبَ كلَّهمْ

فمَا عاقنَا زيدٌ ولا راقنَا بكْرُ[2]

ولا ردَّنا عنها العوادِي ولا العدَا

ولا هالنَا قفرٌ ولاراعنَا بحْرُ

وفيها حلا لي الذلُّ من بعد عزَّةٍ

فيَا حبذَا هذا ولو بدؤه مُرُّ[3]

وذلكَ من فضلِ الإلهِ ومَنِّهِ

عليَّ فما للْفضلِ عدٌّ ولا حصْرُ[4]

وقدْ انعمَ الوهابُ فضلاً بشربهَا

فللَّه حمدٌ دائمٌ ولهُ الشكْرُ

فقلْ لملوكِ الأرض : انتمْ وشانكمْ

فقسمتكمْ ضيئْزى وقسمتُنا كثْرُ[5]

خذِ الدنيا والأخرَى؛ اباغيهما معاً

وهاتِ لنا كاساً فهذَا لنا وفرُ !![6]

جزَى اللّه عنَّا شيخنا خيرَ ما جزَى

به هاديًا فالأجرُ منه هو الأجرُ

أمولايَ ! إنِّي عبدُ نعمائكَ التي

بها صارَ لي كنزٌ وفارقنِي الفقرُ[7]

---

(١) في "م" عن اصحاب الذوائب غلمان. الذوائب : ضفائر الشعر، وذوائب القوم : طلائعهم.

(٢) في "م" ولا راعنا بكر.

(٣) في "م" عزتي. و: ولو في أوله.

(٤) في "م" من من الإله وفضله.

(٥) في "م" للملوك شانهم وما رمتم. والبيت تضمن معنى قوله سبحانه : ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾. النجم : ٢٢ . [قرئ: ضيزي بالياء وضئزى (بالهمز؛ قرا بها ابن كثير) والمعنى: جائرة عن العدل] (م).

(٦) في "م" نعم لنا.

(٧) في "م" إني عبد نعمائك. و: بها صح له الغنا.

وصرتُ مليكًا بعدمَا كنتُ سوقةً

وساعدنِي سعدُ فحصباؤُنا درٌّ[1]

أمولايَ ! إنِّي عبدُ بابك واقفُ

لفيْضكَ محتاجٌ لجودكَ مضطرٌّ[2]

فَمُرْ امرَ مَوْلًى للعبيد فإننِي

أنا العبدُ ذاكَ العبدُ لاالخادمُ الحرُّ[3]

هنيئًا لنا يا معشرَ الصحبِ ! إننَّا

لنا حصنُ امنٍ ليس يطرقُه ذُعْرُ

فنحنُ بضوء الشمسِ والغيرُ في دجًى

وأعينهمْ عُميٌ وآذانهمْ وقْرُ[4]

ولا غروَ في هذا وقد قال ربُّنا :

تراهمْ: عيونٌ ينظرونَ ولا بصْرُ[5]

وغيمُ السَّما مهما سما هانَ أمرُهُ

فليس يُرَى إلاَّ لمن ساعدَ القَدْرُ[6]

ألاَ فاعملُوا شكرًا لمنْ جاد بالذي

هدانَا ومن نَعمائِه عمَّنا اليُسْرُ

وصلُّوا على خيرِ الورَى خيرِ مرسلٍ

وروح هداةِ الخلق حقًّا وهمْ ذَرُّ[7]

عليهِ صلاةُ اللّه ما قال قائلٌ :

أمسعودُ ! جاء السعدُ والخيرُ واليسْرُ

****

---

(١) السوقة: الرعية تسوسها الملوك (م).

(٢) في "آ"، و"ت" لجدواك.

(٣) في "م" فمرني كما يكون للعبد من مولى.

(٤) في "م" في ضوء. و: في آذانهم.

(٥) في "م" فقد قال. و: تراهم ينظرون ليس لهم بصر.

(٦) في "م" ونجم السما. و: ساعده.

(٧) في "م" الخلق منوهم در.

غـيـب

[من الطويل]

أيا نفسُ إن الأمـرَ غـيبٌ فـمـا تدري
بماذا يكونُ الكشفُ في آخـرِ العـمـرِ[1]

فـإمّـا بشـيـرٌ باللقـاءِ وبالرضَى
على طولِ عـتـبٍ بالزيارةِ للزورِ[2]

وإمّـا بضـدٍّ بلْ ولاكـانَ ضـدُّ ذَا
تعـالَى إلهي عن عـذابِي وعن ضـرِّي

ولـيسَ تلافٍ بل ولا ردُّ فـائـتٍ
هناكَ ولا يجدِي سوَى الجبـرِ للكَسْـرِ

أليس لهـذَا الخطبِ ـ ويحكَ ـ شـاغلٌ
عنِ الأهلِ والأصـحـابِ زيدٍ وعن عَـمْـرٍو

أيا سـامعَ الشكوَى ! ويادافعَ البـلا !
ويا منقـذَ الغـرقَى ! وياواسعَ البـرِّ !

تَجـهْتُ لكمْ وجـهِي بأكـرمِ شـافعٍ
مـحـمـدٍ المُبَـعُـوثِ للعـبـدِ والحـرِّ

لتـرسلَ لِي عندَ الوفـاةِ مـبـشـراً
برضـوانِك الأوفَى وفـوزِيَ في الحـشْـرِ

****

(١) القصيدة في "أ"، ص : ٤٠ و"ص"، ص : ٢٠٤، ٢٠٥ الأمر : الآخرة.

(٢) الزور : الذي يزور.

مسكين... لم يذق طعم الهوى

[من البسيط]

أوقـــاتُ وصلكمُ عـــيــدٌ وافــراحُ

يــا مــن هُـمُ الـرَّوح لـي والـرَّوحُ والـراحُ(١)

يا منْ ! إذا اكـتـحلتْ عـينِي بطلعـتـهمْ

وحــقــقتْ في مـحـيَّـا الحـسْنِ ترتاحُ(٢)

دَبّتْ حـمـيَّـاهُمُ في كل جَـوهرةٍ

عـقل ونفس وأعـضـاء وأرواحُ(٣)

فـمَـا نظرتُ إلـى شـيء بـدًا أبـداً

إلا وأحـبـابُ قلبِي دونهُ لاحُـوا(٤)

نظرتُ حـسنَ الذي لا شيء يشـبـهُـهُ

فـمـا يروقُ لقلبِي بعـدُ مـلاحُ(٥)

وليسَ في طاقـتِي الرؤيَا لغَـيْـرهمُ

ولو قَلَتني الورَى في ذاكَ أو شـاحُـوا(٦)

غـرقتُ في حـبـهمْ دهرًا ألم ترَنِي

في بحـرهمْ سـفنٌ ـ حـقًّـا ـ ومَـلاَّحُ ؟!(٧)

---

(١) القصيدة في "أ"، ص : ٤٩، ٥٠ و"م"، ص : ١٦، ١٧ و"ص"، ص : ١٢٥، ١٢٩ و: الروح : الراحة، والراح : الخمرة.

(٢) في "م" وخففت.

(٣) في "م" في كل جوهرة حمياهم، الحميا : ما تتركه الخمرة من اثر في الجسم، وفي القافية إقواء.

(٤) في "م" أبدا إلى شيء بدا.

(٥) في "م" فلا يروق.

(٦) في "م" لطاقة. و: لذاك. قلتني : هجرتني [يقال: اشاح بوجهه: نحاه، واعرض، والفعل مزيد بالهمزة] (م).

(٧) في "م" دهرا وها انذا [حق كلمتي (سفن وملاح) النصب. ولابد من التاويلات البعيدة لقبول النص على حاله] (م).

مـــاذا علـى مَن رأى - يومًـــا - جـــمـــالَـهمُ

أنْ ليسَ تبـــدُو لـه شـــمسٌ وإصـــبـــاحُ

جـــبـــالُ مكةَ لو شـــامتْ مـــحـــاسنَهمْ

حنُّوا ومنْ شـوقـهمْ ناحُـوا وقدْ صـَاحُـوا[1]

شـــهْبُ الدراري مـــدى الأيامِ ســـابحـــةٌ

لو أبصـــرْتَـهمْ لما جـــاؤوا ولا راحُـــوا[2]

لو كنتُ أعـــجب من شيءٍ لأعـــجـــبنِي

صـــبـرُ المحـــبينَ : مـا ناحُـوا ولا باحُـوا

أريدُ كـــتمَ الهـــوى حـــيناً فـــيـــمنعُنِي

تهـــتكِي كـــيفَ لاَ ؟! والحبُّ فـــضـَّـــاحُ

لاشيءَ يثنِي عنانِي عن مـــحـــبَّـــتـــهمْ

ولا الصـــوارمُ في صـــدرِي وأرمـــاحُ[3]

قـــال العـــواذلُ : فـيكَ السـحـرُ قلت لهمْ :

نعم ! ولي صـــحـــةٌ فـــيـــهِ وإصـــلاحُ[4]

لا زالَ يـــربُـــو مـــع الأنَـــاتِ بِـــي أبـــدًا

فلِي بـه بـينَ أهـلِ الحبِّ أمْـــــــداحُ[5]

ياعـــاذلِي ! كنْ عـــذيرِي في مـــحـــبـــتـــهمْ

فـــإنَّ قلبي بما يـهـــواهُ مـــشـــحَـــاحُ[6]

إنَّ الملام لإغـــــــراءٌ وتـقـــــــويَـةٌ

مـــهـــلاً ! فـــإنكَ مكثـــارٌ وملحَـــاحُ[7]

---

(١) في "م" أجبال، و:رأت محياهم. وشام : أبصر، وتبع الشيء بعينيه.

(٢) في "م" مدى الزمان.

(٣) مجرى الكلام: «ولا الصوارم الموجهة إلى صدري ولا الأرماح»، وقد عطف الشاعر النكرة على المعرفة، ولم يكرر لا النافية التي يَحْسنُ الكلام بها. (م)

(٤) في "م" قال العذول بكم سحر، فقلت لهم، وذا السحر صحة.

(٥) في "م" أهل العشق [«أمداح» ترد عند الأندلسيين والمغاربة لمعنى مدائح. وهي غير معجمية] (م).

(٦) في "م" تهواه. وأيضا في "ا".

(٧) في "م" وتقوية.

إني لأهجرُ خلاً لايحدِّثني
عنهمْ وتحْرمُ في التوراةِ الواحُ[(١)]

شرعُ المحبةِ قاضٍ في حكومتهِ
بصرْمِ خلٌّ من الأشجانِ يرتاحُ[(٢)]

مسكينٌ ! ما ذاقَ طعمَ العشقِ منذ بدَا
ولا استفزَّته من لقمانَ أرواحُ[(٣)]

فما نديمي بحَانِ الأنسِ غيرُ فتًى
له لأخبارِهمْ نشرٌ وإيضاحُ[(٤)]

لا كسبَ لِي بلْ ولا شغلٌ ولا عملٌ
ففِي حديثهمُ تجْرٌ وأرباحُ[(٥)]

ما جنَّةُ الخلدِ إلا في مجالسهمْ
فيهَا ثمارٌ وأطيارٌ وأرواحُ

هوَى المحبُّ لدى المحبوبِ حيث ثوَى
وكيفمَا راحَ هبَّتْ منهُ أرواحُ[(٦)]

أودُّ طولَ الليالِي إن خلوتُ بهمْ
وقدْ اديرتْ أباريقٌ وأقداحُ[(٧)]

---

(١) في "م" عنهم وماله من توراتي. وفي "أ" ويحرم من توراتي الواح.

(٢) في "م" غدا من شجوني.

(٣) في "م" الشطر الثاني : "في ذاق من جملة الأنعام سراح. روح لقمان : هو الأمونياك يشمم منه المغمى عليه ليستفيق. وبعد البيت ياتي بيتان في "م" و"أ"، وهما :

"ما بات يرعى النجوم ساهرا قلقا
أساود الشوق في احشائه طاحوا

مادب في عظمه خمر الهوى أبدا
«ولا يشججه من سعاد أرواح»؟

وفي "أ" و"فذاك من جملة الأنعام سراح".

(٤) في "م" ولا سميري بحان.

(٥) في "م" لي غير موجود.

(٦) في "م" ادواح.

(٧) في "م" اين ثوى. و: يرتاح مهما تهب. الخلوة، والاقداح، والاباريق : ترمز إلى معاني صوفية صرفة.

يَرُوعُني الصبحُ إن لاحتْ طلائعُهُ

يا ليتَه لم يكنْ ضوءٌ وإصباحُ!

ليلي ! بدا مشرِقًا من حسنِ طلعتهمْ

وكلُّ ذا الدهرِ أنوارٌ وأفراحُ[1]

أُسْكُنْ فؤادِي ! وطبْ نفسًا وقرَّ لقدْ

بلغتَ مارمتَ قرُّ الناسُ أو ساحُوا[2]

واطلبْ إلهكَ ماترجُو فإنَّ لهُ

خزائنًا مالها قفلٌ ومفتاحُ[3]

****

(١) في "م" ليله بدا مشرق. و: الدهر كله أنوار.

(٢) في "م" وقرنا عما شاكر.

(٣) في "م" إلهك في المزيد. و: خزايناً [وصرف «خزائن» للضرورة] (م).

أنا الحب والمحبوب والحب جملة

[من الطويل]

عن الحُبِّ مـــالي كلَّمَـــا رمتُ سلوانَا
أرى حشْوَ أحشائي من الشوقِ نيرانَا ؟[1]

لواعجُ لو أنَّ البـحـارَ جـمـيـعَـهـا
صَبَبْنَ لكانَ الحَـرُّ أضعـافَ مـاكـانَا[2]

تئِجُ إذا مـا نجْـدُ هبَّ نسيـمُـهَـا
وتذكُـــو بـأرواحٍ تـنـاوحُ ألـوانَـا[3]

فلو أنَّ مـــاءَ الأرض طرّاً شـربتُـهُ
لَمَا نـالـنِي ريٌّ ولا زلتُ ظمـــآنَا

وإن قلتُ ـ يومًـا ـ قـدْ تدانتْ ديارنَا
لأسلو عنهمْ زادنِي القـربُ أشجـانَا

فـمـا القـربُ لي شـافٍ ولا البـعـدُ نافعٌ
وفي قُـربنَا عـشقٌ دعـانِي هيمـانَا[4]

وفي بعـدنَا شـوقٌ يقطِّع مـهـجـتِي
كـتـقطيعِ بيتِ الشِّـعـر للنظمِ مـيـزانًا[5]

فـيـزْدادُ شـوقِي كلمَـا زدتُ قـربةً
ويزْدادُ وجـدِي كلمَـا زدتُ عـرفـانَا

---

(١) القصيدة في "أ"، ص : ٥٠، ٥١ و: "ص"، ص : ٢٩٩، ٣٠١

(٢) اللاعج : حرقة الحب.

(٣) في "أ" تاج. و: تناوح. و: بئج : تتوقد وتزفر. و: أرواح : رياح. وتذكو : تزداد اشتعالا.

(٤) هام في الحب: سار على غير بصيرة ودراية.

(٥) أراد أن الشوق قطع مهجته كما يقطع البيت الشعري إلى تفعيلات، أي إلى أجزاء.

فـيـا قلبِيَ المجـروح بالبـعـدِ واللقـا !

دواكَ عـزيزٌ لستَ تنفكُّ وَلهـانَا

ويا كـبـدِي ذوبـي اسًى وتحـرُّقـاً !

ويا ناظرِي ! لا زلت بالدمع غَـرقـانَا

اسـائلُ عن نفـسِي فـإنِّي ضلَلْتُـهـا

وكـان جنونِي مـثلَ مـا قِـيل : افتَّانَا

اسـائلُ مَنْ لاقـيتُ عنِيَ والِهـاً

ولاَ اتحـاشـاهمْ : رجـالاً ورُكـبَـانَا

اقـولُ لهمْ : من ذا الذِي هو جـامـعِي

ويـاخـذنِي عـبـدًا مـدَى الدهر حلوانَا

واسـالُ عن نجـدٍ وفـيـهِ مـخـيَّـمِي

وأطلبُ روضَ الرقـتـين ونَعـمـانَا[1]

منازلُ كـانتْ لي مـصـيـفـاً ومـربعـاً

غـداةَ بهَـا أُدْعى صـبـيّـاً وشـيـبَانَا

ومن عـجـبٍ مـا هِمْتُ إلا بمُهـجـتِي

ولا عـشـقتْ نفـسِي سـواهَا ومـا كـانَا

انـا الحُبُّ والمحـبـوبُ والحُبُّ جـمـلةً

أنـا العـاشقُ المعـشـوقُ سـرًا وإعـلانَا[2]

****

(١) «نجد» و«الرقّتان» و«نعمان» مواضع ذكرها شعراء الغزل كثيراً في العصور المختلفة. واستفاد منها الشاعر في العشق الصوفي الذي طوع لنفسه أدوات اغراض شعرية متعددة (م).

(٢) البيت ادى معنى وحدة الوجود عند المتصوفة بحسب وجهة نظر "ابن عربي" احد ائمتهم.

أي واد صبحوا

[من الرمل]

ليتهمْ إذْ ملكوني أسجحُوا !
ليتهمْ إذْ ما عفَوْا أن يصفحُوا(1)
رَحَلُوا العيسَ ولم اشعُر بهِمْ
ليتَ شعري أيَّ وادٍ صَبَّحُوا ؟!
اخذُوا قلبي وماذا ضرَّهمْ
أن يكونُوا بجميعي جنحُوا ؟!
أيُّ عيشٍ يهنَا لِي من بعدهمْ ؟!
طارَ قلبي وعظامِي ملَّحُوا(2)
ويحَ أهلِ العشقِ هذا حظُّهمْ
هَلْكَى ! مهما كتمُوا أو صرَّحُوا(3)

****

(1) الأبيات في "م"، ص : ١٣٩٣ و"ص"، ص : ١٢٩، ١٣٠ [أسجح اي احسنَ العفو. يقال: ملكْتَ فاسْجِحْ] (م).

(2) يهنا : مقصور من يهنأ، تملحت العظام : تعبير شعبي مستعمل بصيغة اخرى في الجزائر كقولهم : "روح اتملح اعظامك" وهو بهذا المعنى دعاء بالهلاك والويل [يلزم حذف الف «يهنا» و«هلكى» في البيت التالي والاكتفاء بالفتحة قبلها ليستقيم الوزن] (م).

(3) في البيت زحاف في عبارة «هلكى»، وهو مستقبح في حشو البيت.

وحدة الوجود(*)

[من مجزوء الرمل]

أنـــا حَـــقٌّ أنـــا خـــلـــقُ
أنـا ربٌّ أنـا عـــبـــدُ[1]

أنـا عـــرشٌ أنـا فـــرشُ
وجـــحـــيـمُ أنَا خـلـدُ

أنـــا مـــاءٌ أنـــا نـــارٌ
وهـــواءٌ أنـــا صـــلـــدُ

أنـــا كـمٌّ أنـــا كـــيـــفُ
أنـا وجـــدٌ أنـا فـــقـــدُ

أنـــا ذاتٌ أنـــا وصـــفُ
أنـا قـــربٌ أنـا بـعـــدُ

كـل كـــونٍ ذاك كـــونِـي
أنـا وحـــدي أنـا فـــردُ

****

(1) الأبيــات فـي "م"، ص : ١٢٢٤، و: "ص"، ص : ١٣٦، في "م" انا حق انا خلق. في "ص" وردت عـدة صــور لبعض مـا في هذه الأبيات على انها اثبتت في "المواقف" وبالعودة إلى "المواقف" لـم نـجد أي خـلاف بين مـا ثبت في الديوان نـسخـة "حقي" المعتـمد في تـحقيقنا اصلاً، ومـا في المواقف، فلا ندري اي طبـعة للمواقف عناها «صيام»، وبخاصة وهو لم يثبت ذلك في اي هـامش كان عدا كلمـة «المواقف»، وكذلك لم يذكر مصادره ولا مراجعه بالمعلومات المطلوبة في مكان تحقيقه للديوان كما لم يثبت قائمتها في بداية الديوان أو نهايته.

هو الباطن هو الظاهر(*)

[من الطويل]

أردّدُ طرفِي في الرسوم فلا أرَى
سوَى مَنْ به كانت : رسوماً وآثارَا(1)

وأسألهَا عنه فكلٌّ أجابنِي
بأنهُ ما رآهُ يوماً ولا أدرَى

فقلتُ لهمْ : هذا عجيبٌ ! فإنني
ما أبصرتهُ إلا بكم متظاهرَا

عرفتُهُ منكم ثم زادَ في عِرفاننَا
بأننِي إياهُ ولكنْ منكِرَا

عجبتُ له كيف اختفَى بظهورِهِ ؟!
فعينِي حجابُه الظهورُ ولا أنفرَا

ألا فاعجبُوا من ظاهرٍ في بطونهِ
ومِن باطنٍ لا زالَ بادٍ وظاهرَا

****

(*) تبدو المقطوعة غير متماسكة في الوزن، ولعل الشاعر قد نظمها في حالة غيبوبة صوفية كما ذهب إلى ذلك "حقي"، وهو ما جعلها كذلك. أو انه عمد إلى هذا الأسلوب عمداً لتسهيل أدائها من لدن حلقات الصوفية.

(1) المقطوعة في "م"، ص : ١٣٩٣، و: "ص"، ص : ١٥٥ وقد أخذ صاحب المواقف المقطوعة عن الديوان بحسب ما في الهامش، لهذا جاءت متطابقة مع المثبتة في الديوان.

كمـا كنـت

[من مجزوء الرمل]

هُنْ إذا ســـاعــدكَ الـدهـرُ فــذُو العـــقلِ يـهـــونُ[1]
فـــــــإذا حـطَّـكَ دهـرٌ فـكـمـــــا كـنـتَ تـكـونُا

****

(١) البيتان من شعر السُّمَيْسر الإلبيري الأندلسي (وهو أبوالقاسم خلف بن فرج المتوفي ٤٨٤ هـ) أوردهما ابن الأبّار في كتابه «التكملة لكتاب الصلة» (٢:٤٧٠) في دَرْج ترجمة أبي بكر محمد بن جعفر اللخمي القرطبي. قال ابن الأبّار: قرأت بخطّ ابن النعمة حدثني الفقيه المقرئ محمد بن جعفر القرطبي نزيل بلنسية في عقب شهر ربيع الأول سنة ٥١٢، قال أنشدني الشاعر السُّميسر بقرطبة:

هــنْ إذا مــا نلـتَ حظّاً فأخــو العقل يهون
فمتـــــى حَطّك دَهْرٌ فكما كنتَ تكـــون

والاختلاف يسير بين هذه الرواية، وما ثبت في رواية ديوان الأمير عبدالقادر. وقافية هذا الشعر يصحّ أن تكون مطلقة (يهونُ؛ تكونُ) ويصحّ أن تكون مقيدَة (يهونْ؛ تكونْ).

ولا شك عندي في أنّ الأمير عبدالقادر لم يُدخل النص في شعره؛ ولكنّ جمع الديوان من أوراق الشاعر الأمير يقتضي التدقيق، والتحقيق، وإعادة النَّظر أيضاً.

ووجود هذا الشعر، وغيره من أشعار الأندلسيين في أوراق الأمير وكتبه يبين وجهاً من وجوه مصادر ثقافته المتعدّدة. وكان للأندلس مكانة مهمة (م).

و - الملحقان:

أ - شعر «المواقف»

حديث عجب!

[من البسيط]

لا تعجَبُوا من حديثي جلَّ عن عجبِ
حقيقُ قوليَ لا لغو ولا كذبِ[1]

ولدت جدي ،جدَّته وبعدَهُما
أبي تولَّد عن امِّي وأيُّ أبِ ؟!

وبعدَ ذا ولدوني بعد كوني أنا
ووالدي البرُّ توأمان في صُلْبِ[2]

وكنتُ من قبلُ في الحجور ترضعُني
بطيبِ البانِها الأُمّات لأتربِ[3]

وليسَ يدْري الذي أقولُ غيرُ فتىً
قد جاوز الكونَ من عينٍ ومن رُتَبِ

****

(١) المقطوعة، في "ص"، ص: ١١٤، وفي القافية إقواء.

(٢) في الأصل: «تومان» وأصلحنا الكلمة بما يوافق المعنى والوزن (م).

(٣) في الأصل: «الأمّهات» وهذه تقال في العاقل والأمّات في غير العاقل، وقد ترد الواحدة في مكان الأخرى لغرض بلاغيّ أو لضرورة (م)، وفي القافية إقواء.

أنا مطلق

[من الطويل]

انا مطلق لا تطلبُوا - الدهرَ - لي قيدَا
ومَالِيَ مِنْ حدٌ فلا تبغُوا لي حَدًّا[1]
ومالِيَ من كيفٍ فيضبطُني لكمْ
ولا صورةٌ لا أعدو منها ولا بُدًّا
وما لِيَ شانٌ يبقَى آنِيَ ثابتاً
وإنّ شؤوني لايُحاطُ بها عَدًّا
ومالِيَ من مثلٍ ومالِيَ من ضدٌّ
فلا تطلبُوا مثْلاً ولا تبغُوا لي ضدًّا[2]
ولا تنظرُوا غيريَ من كلِّ صورةٍ
فلا تنظرُوا عَمْراً ولا تنظروا زيْدَا
ولاتطلبُوا غيري فما هو كائنٌ
سوى خيالاتٍ تحْسبُون لها وجْدَا[3]
ومَا هي إلاّ سترة قد نصَبْتهَا
لأبله عقْل صبْحتْ عينَه رمْدَا[4]
الا فانظروا إلى الحبيبِ وفكِّروا
فهلْ غيره ما صارَ صورتهُ زيْدَا
فلا كائنٌ إلا انَا بهِ ظاهرٌ
ولا كائنٌ يكونُ لِي أبداً قيْدَا
ولا باطنٌ إلا أنا ذاك باطنٌ
ولا ظاهرٌ غيري فلا أقبل الجَحْدَا

---

(١) القصيدة في "ص"، ص: ١٣٩، ١٤١

(٢) في البيت كسر عروضي [وينضبط بخطف صوت الواو من «تبغوا»، وهذا كثير في هذه الأشياء الصوفية خاصة] (م).

(٣) في البيت كسر عروضي ووجدا أراد وجوداً [ولا بد من خطف الألف الأولى من: «خيالات»] (م).

(٤) اراد ان ما اعتقده عقل الأبله حقيقة وواقعاً فهو غير ذلك. اي ان من يثق في الدنيا كمن اصيب بالرمد، اي انه لا يرى الأشياء على حقيقتها، [الشطر الثاني في الأصل: لابله عقل صور صبحت..] (م).

فقلْ عالَمٌ وقلْ إلهٌ وقل أنا
وقل أنْتَ وهْو لستَ تخشى بهِ رَدًا

تعدَّدتِ الأسمَا وإنِّي لواحدٌ
ألا فاعبدُوني مطلقًا نَزِهًا فرْدًا

أنا قيسُ عامرٍ وليلى محقّقاً
محبّاً ومحبوباً وبينهما ودًّا[1]

أنا العابدُ المعبودُ في كل صورةٍ
فكنتُ أنا ربّاً وكنتُ أنا عَبْدًا

فطوْرًا تراني للكنائسِ مسْرِعاً
وفي وسطِي الزنارُ أحْكمتُهُ شدًّا[2]

أقولُ بإسم الابن والأبِ قَبْلَهُ
وبالروحِ روحِ القدْسِ قصداً ولا كَيْدًا[3]

وطورًا بمدراسِ اليهودِ مدرِّساً
أقرِّرُ توراةً وأبدِي لهمْ رشْدًا

فما عَبَدَالعَزِيْزَ غيرِيَ عابدٌ
ولا أظهرَ التثليث غيري ولا أبْدَى

ولا أورى نارَ الغرسِ غيرَ مُوْرِيٌ
وما قالَ بالإثنينِ إلاَّ أنا لحَدًا

أنَا عينُ كلَّ شَيء في الحسْنِ والمعنَى
ولا شيء عيني فاحذرِ العكسَ والطَّرْدَا[4]

---

(١) في القافية إقواء.

(٢) الزنار: ما يشد على الوسط، والبيت في "ص":

"فطورا تراني مسلماً أيَّ مسلم زهودًا نسوكًا خاضعًا طالبًا مدًّا"

(٣) من هذا البيت إلى البيت الأخير غير موجودة في "ص".

(٤) في "ص" في الحس" والمعنى. [يكشف هذا النصّ- وما شابهه - موقف الأمير الشاعر من التصوّف ورؤيته التي صدر عنها. وأقرب شاهد مشهور لأبيات الأمير الأخيرة من القصيدة قول محيي الدين بن عربي وهو يعبّر عن «النزعة الكلية» (ترجمان الأشواق ٣٩-٤٠ بيروت ١٣١٢هـ).

لقد صار قلبي قابلاً كُلّ صورةٍ
فمرعى لغزلانٍ وديرٌ لرهبانِ

وبيت لأوثانٍ وكعبة طائفٍ
وألواح توراة، ومصحف قرآن

أدينُ بدين الحب أنَّى توجّهت
ركائبه فالحب ديني وإيماني] (م)

الذي أفناني(*)

[من الطويل]

أرى الذي أفناني سيخلفني بعدُ
يقوم برسمنا فيشمله الحدُّ(1)

لذاك أرى اسمهُ يعيِّنُ رسْمَنا
يجيب إذا دُعي لا ردٌّ ولا جَحْدُ

فما بالهمْ يدعونه عبد قادر
ولم يبقَ إلا قادر ماله عبدُ(2)

لقدْ بادَ منْ قد كان من قبل بائدًا
وزال خيالُ الظلِّ وارتفعَ السدُّ

وزال عنِ العقل المصونِ حجابهُ
فصارَ ضَلالاً ما يراهُ له رشدُ(3)

فلستُ أنا ذاك الذي تعرفونهُ
ألاَ فَاطلبوا من ذا يكلِّمكمْ قصدُ

ولَسْتُمْ انتمُ الذين عرفتُهمْ
فما عَمْرُكمُ عَمْرُو ولا زيدُكمْ زَيْدُ

لقد ضاقَ صدري بالذي انا واجدٌ
وتعبيرِي ما يفِي فيبدُو ولا يبدُو

ألاَ فاعذرُوا من ذاق إنْ ضاق صدرُهُ
كما أنَّ مَنْ قد ذاقَ عاذرَكمْ يغدُو

****

(*) القصيدة في "ص"، ص: ١٣٨ ـ ١٣٩ .

(١) القصيدة في مضمونها تستفيد من قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عليهَا فَانٍ . ويبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلال والإكْرَام﴾ الرحمن: ٢٦ ـ ٢٧ [ولابد من خطف ياء (الذي) ليستقيم الوزن] (م).

(٢) عبد القادر: أراد الشاعر نفسه.

(٣) البيت كنى به عن يوم القيامة كما في الآية: ﴿يَوْمَ ترونَهَا تَذْهَلُ كلُّ مُرْضِعَةٍ عمَّا أَرْضعَتْ﴾، الحج: ٢ ، وفي القافية إقواء، وكذلك قافية البيت التالي.

تجلي المحبوب(*)

[من الطويل]

تجلّى له المحبوبُ من حيث لا يَرى
فأعجِبْ بهِ أراهُ من حيْثُ لا أرَى

وغَيَّبَني بهِ فغاب رقيبُنا
وزال حجابُ البينِ وانحسمَ المِرا

فصرتُ أراه كلَّ حينٍ ولحظةٍ
وقد كانَ غائباً وقد كانَ حاضِرَا

وما عُرِفَ الخلاَّقُ إلا بجمعِهِ
لضدين من كلِّ الوجوهِ تنافَرَا

وواصَلَني فلا تناكرَ بعد ذَا
وقرَّبنِي فكان سمْعاً وباصِرَا

أسرُّ إليَّ حيْثُ لابينَ بيننَا
بسرٍّ حكىْ لطفَ النسيم إذا سرَى

ولا طَفَنيِ بقوله الحقُّ معلِنًا
أني قد اخْترتُ قد اصطفيتُ بلا امْتِرَا(1)

وباسَطنِي يامَا ألَذهُ قائلاً
تمتَّعْ وكحِّلْ بالجمالِ نواظِرَا

فقدْ طالما قد كنتَ تصبو إلى اللِّقَا
وكان جمالي بالحجاب مُستَتِّرَا

وكمْ من شهيدٍ مات بالشوْق والفنَا
محبٌّ لذاك الحسنِ لوْ كان قدَّرَا

(*) القصيدة في "ص"، ص: ١٥٦-١٥٨ [وفي بعض أبياتها اضطراب في الوزن، واضطراب في القافية وخصوصاً سناد التاسيس] (م).

(١) في البيت كسر عروضي.

وكمْ من شــهــيــدٍ للغَــرام مــشــاهدٍ
لبــعضِ الذي شــاهدْتُ مَــات فــأُقْــبِــرَا
وذا قـــيسُ عـــامـــرٍ تخـــيلَ نورَنا
في ليلى فـــمــات والـهــاً مــتــحــيِّــرَا
لقـــدْ ســبــقَتْ بالفـــضل منًا عنايةٌ
إليك فـــحـــدِّثْ عنْ عطايَ مـــخـــبِّــرَا
وغـــنِّ ودنـــدِنْ لا تمِـــلْ لمـــفـــنِّـــدٍ
وكنْ فـــرِحـــاً بالوصْلِ للّهِ شَــاكِــرَا[1]
تملْ وقـــرْ عـــيناً وانعِمْ بوصلنَا
ابحْنَا لك الذِي ترى جلْ مـــا ترى[2]
وتِـهْ وتـدلَّـلْ انـتَ اهـلٌ لـكـلِّ ذَا
فـمنْ لهُ مـثـلُ ذا يكنْ بذا اجْـدرَا[3]
وقـدْ شـرب الحـلاجُ كـاسَ مُـدامـةٍ
فكانَ الذِي قـدْ كـان منه مـسطَّرَا[4]
وإنِي شـربتُ الكأْس والكاسَ بـعـدهُ
وكـاسـاً وكـاسـاً شيـا مَـا انـا حَـاضِـرَا[5]
ومَـا زالَ يسـقـيني ومَـا زلتُ قـائِلاً
لهُ زِدْنِي مـا ينفكُّ قلبِي مـسـعَّـرَا

---

(١) في ص: لا تصل لمفند.

(٢) الأصل: قرّ (فعل أمر من ق ر ر) وسكن الشاعر راءي الكلمة ضرورة (م).

(٣) الشطر الثاني مضطرب عروضياً.

(٤) الحلاج: احد اقطاب الصوفية ذكره الأمير في مواطن شتى، كما استلهم بعض اخباره في شعره، وهو عنده كما في البيت من واضعي الطريقة الصوفية. [انظر دراسة عنه في مقدمة ديوانه الذي صنعه د.كامل مصطفى الشيبي، مكتبة النهضة - بيروت - بغداد] (م).

(٥) الشطر الثاني فيه كسر عروضي، فاثقل بالزحافات التي تضمنها.

وفي الحـــال حـــالِ السكر والمحْـــوِ والفَنَا
وصلتُ إلـى لا أيْـنَ حَـــــقّـــــاً ولا وَرَا[1]

أنـا المُوْسَـــــوِيُّ الأحـــــمْـــــديُّ وِراثـةً
صـــعـــقت ودُكَّ طورنَـا جَـــرى مَـــا جَـــرى

****

(١) المحـو: ذهاب الشيء بحـيث لا يبقى له أثر. والمحـو والإثبـات من ثنائيات السلوك الصـوفي، كالفناء والبقاء، وربما هذه الثنائية مصدرها من قوله تعالى: ﴿يَمحُو اللَّهُ ما يشاءُ وَيُثبِتُ﴾ الرعد: ٣٩، وانظر: د.سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، دندرة للطباعة والنشر / ط/ ١٤٠١/١، ١٩٨١ ص: ١٠١٦.
والفناء: عند الصوفية هو فناء الخصال المذمومة، ولا يبقى منها إلا كل ما هو محمود والموسوي: نسبة إلى نبي الله موسى عليه السلام، والأحمدي: نسبة إلى محمد رسول الله ﷺ.

غاية الذي يبغي

[من الهزج]

فـيـا نورًا بـلا شـمسٍ
ويا شـمساً بلا نُورٍ[1]
ويَا بحْـرًا بلا حـدٍّ
وساحِـلاً بلا بحْرِ
ويَا نُكْـرًا بلا عُرْفٍ
ويا عُـرْفاً بلا نُكْرِ
ويا غـيْرًا ولا عينٌ
ويا عيْناً بلاَ غيرِ
ويا سِتْراً بلا كشْفٍ
ويا كشفاً بلا سِتْرِ
ويا فَجْرًا بلا ليلٍ
ويا ليلاً بلا فجْرِ
يا حيرتِي يا دَهشتِي
يا حرفاً ماله مُقرٍ[2]
لقد حيَّرْتَنِي حتَّى
في حيرتِي وفي أمْرِي[3]
وحارَ كلُّ ذِي كشفٍ
وذي عقلٍ وذي فِكرِ
وغايةُ الذِي يبْغِي
عرفناكمْ إلى خسرِ[4]

(١) القصيدة في "ص"، ص:٢٠٩ .

(٢) البيت مضطرب: شطره الأول من مجزوء الرجز، والشطر الثاني لا وزن له على هذه الصورة. وأكرر هنا أن شعر الأمير الصوفي مضطرب لاضطراب النقل عنه، أو لإدراج الناسخ ما يشبه الشعر بالشعر (م).

(٣) مضطرب.

(٤) في «ص» :عرفانكم، وعلى الحالين: البيت مضطرب أيضاً: معنى أو وزناً (م).

حقق الأمر(*)

[..............]

أنا كــونٌ ذاك كــوني أنا وحــدِي أنا فــردٌ

لا شكٌ اني مـجـبـورٌ وجـابرني مـجـبـورُ[1]

بـالعلمِ منه قــيـده لا تبـديلَ لا تـغـيـيـرَ

والعلم أيضـا تابعٌ لمتـبـوعٍ ومــقـصـورُ

فكلنا في قـبـضـتـه مـقـيٌـد ومـحـصـورٌ

فـأيْنَ لو شـئنا ولوْ أردنا فـيـه تخـيـيـرُ

يا حــيـرةَ الـعـقل ويا ظلمــةٌ مـا لـهـا نورٌ

والجـبـر لاعــذْرَ به لجـاهل يا مـغـرورُ[2]

سـوى الذِي عـرفـه كـشـفـاً فـذلك مـبـرورٌ

فـحـقِقِ الأمْـرَ تفـزْ بعلمٍ عندي مـدخـورُ[3]

وتـنـجــــــو مــــــــثـل مـنْ نجَـى

ولاذنـب مـنـك مــــــــغـــــــــــورُ

****

(*) هذه تهويمات واذكار صوفية لا تدخل في الشعر (م).

(١) الأبيات في "ص"، ص: ٢٠٧ ، والبيت في "ص" هو:

«لا شك اني مـــجـــبـــور جـــابرني مـــجـــبـــور

والجـــبـــر لا عـــذر به لجـــاهل يا مـــغـــرور»

والأبيات كاغلب القصائد الواردة في "المواقف" غير متمثلة لبحر واحد بحسب تفعيلاتها المعروفة.

(٢) في " ص " الشطر الثاني «سوى الذي عرفه كشفا، فذاك مبرور».

(٣) في "ص" البيت:

«فـــحـــقق الأمـــر تفـــز بعلم عندي مـــدخـــور

وتنجـــو مـــثل نجـــا، والذنب منك مـــغـــرور».

هـويتـه(*)

[..............]

ومـا نحنُ إن حـقّـقت بالغـيـر والسـوَى
هُويّتُـه سَـمْـعِي هويّتُـه البـصـرْ[1]

هُويّتُـه عـقلي هويتـه قلبي
هُويتُـه كلي لا تبـقى ولا تذرْ

هُويّتُـه رجلي هويتـه يدي
هُويتُـه نفـسي وإنّيَ مـا ذكـرْ

ومـا حلّني ولا حللتـه أنَا به فكانني
مـذْ كنت فـاسـمع لي واعـتـبـرْ[2]

تعـددتِ الألقـاب والعين واحـدٌ
فـمـا ثَمّ إلا الله لا عينَ الغـيـرْ[3]

فـشـيـئـانِ لفظ نحن والعين واحـدٌ
فـانتَ هو الأنا وهُوْ أنتَ فـاذكـرْ[4]

يجـيبُ إذا دعـوتَ فـهـو الذي دعَـا
كـرجع الصدى الثانِي في الحسِّ والأثرْ[5]

(*) اكثر هذا النص لا يدخل في الشعر، وهو من الأذكار والتسبيحات والنجوى على مذهب القوم (م).

(١) الأبيات في "ص"، ص: ١٦٤، ١٦٥ ، وهي مضطربة في وزنها بحيث لا تعود إلى بحر واحد، وهي قريبة من النظم اكثر منها إلى الشعر، سجلت موقفًا من مواقف الصوفية او هي إيماءات، وتعابير متوسل بها في شطحة من شطحات الفرق الصوفية، وقد اعادها صيام إلى بحر الطويل، وهو ما لا ينسحب عليها كما نلاحظ.

(٢) في "ص":

«ومـا حلني ولا حللت اتابه ... فكاني مـذ كنت فـاسـمع لي واعـتـبـر».

(٣) البيت قريب من آخر للشاعر هو:

«تعـددت الأسـمـاء وإني لواحـد ... الا فـاعـبـدوني مطلقـا تزها فـردا».

(٤) في "ص"، فسيئات لفظا، وهو الذي، و: الحسن.

(٥) في "ص" الصدى: . و: الحسن.

أمطنا الحجاب(*)

[من الطويل]

أمطْنَا الحجاب فانمحى غيهَبُ السُّوى
وزال انا وأنتَ وهْو فلا لبس[1]

ولمْ يَبقَ غيرنا وما كان غيرُنا
أَنا الساقي والمسقيّ والخمرُ والكاس[2]

تجمعتِ الأضدادُ فيَّ وإنَّنِي
أنا الواحدُ الكثيرُ والنوعُ والجنس[3]

فلا تَحتجبْ بما ترَى متكثِّراً
فما هو إلاَّ شخصنا النَّزِه القدْسُ

فما كنت ناظراً بنا أنتَ ناظرٌ
إلينَا وإلاَّ أنتَ أعمَى به طمْسُ

هوَ الدين توحيدِي فلاَ تَحْسِبَنْ غيرِي
يوحِّدني غيرِي هو الشركُ والرجْسُ

فما دمْتَ غيرنا فأنتَ شريكنَا
وهلْ ثمَّ غيرُ يا بليدُ به هوْسُ

ففارقْ وجودَ النفسِ تظفر بالمُنَى
وزايل ضلالَ العقل إذْ إنه الحبْس[4]

(*) هذه القطعة وإن استقامت معظم ابياتها لا تدخل في الشعر. هي من مواجد العباد والزهاد التي يحسن فيها السجع والتقفية والاقتراب من النمط الموزون، وما استقام من الأبيات والأشطار فهو من بحر الطويل (م).

(١) القصيدة في "ص"، ص: ٢١٥، ٢١٧، والغيهب: الظلمة، أو الضباب، والحجاب في لغة المتصوفين: الطريق الموصول به اي واصل وليس مانعاً كما في معناه الحقيقي والسوى عندهم تعني كل ما عدا الله من المخلوقات.

(٢) السكر: هو عندهم طبيعي، وعقلي، وسكر الكمل، اي سكر المؤمنين، والعارفين والسكر الإلهي.

(٣) الواحد: استعمله ابن عربي بمعنى القطب، وتجمع الأضداد أراد به وحدة الوجود.

(٤) زايل ضلال العقل إذ إنه الحبس: يومىء إلى ترجيح القلب على العقل كما في فلسفتهم.

ومـــا توحـــيـــديَ المقـــبـــول قـــولاً وإنَّهُ
لفـــــعلٌ فـــــلا يغْـــــرُرْكَ جـنٌّ ولاَ إنسُ[1]

ومـــــا هوَ إلاَّ أنْ تـصـــــيـــــرَ إلـى الفَـنَا
وتـصــــــــعـقَ لـيـسَ ثـمّ روحٌ ولاَ حـسُّ[2]

تشــاهدُ أحـــوالَ القـــيــامـــة جـــهْـــرةً
تُهَـــيِّـــا لكَ الأكـــفـــانُ والغـــسْلُ وَالرَّمْسُ

****

(٢) الشطر الأول خارج عن وزن الطويل (م).

(١) وتصعق: من قول رسول الله ﷺ في إحدى خطبه: "تعلم والله ليصعقن أحدكم" مريداً بذلك الموت.

أيا حيرتي

[من المتقارب]

أيـا حـــــيـــــرتِي مَــــا الـذِي اصنـعُ
لقـــدْ ضـــقتُ ذرعًـــا فـــمـــا يَنْفَعُ[1]

أكـــــــــادُ تـرانِـيْ مـنـفَـطـرًا
جَـــوَاهِـرِي مـــبـــثـــوثة أجـــمَعُ

وطـوْرًا اذوبُ كــــــــثـلـجٍ بمَـا
فَـــــــــــالَ إلَـى أصْـلِـهِ انْـقَـعُ[2]

وكلّمَـــــا قلـتُ هـذَا مـــخـــرَجٌ
يـســـدُّ علـيَّ فـــمَـــا أطلـعُ

فـــإنْ كنتَ غـــيــرًا أنَـا مـــشْـــرِكٌ
وإنْ كُنْتَ عـــيـــنـاً فـــذَا أفْظَعُ

وإنْ كـــــنـــــتَ ذَاكَ وذاك أنَـــــا
فكلُّ الـنـقـــيـــضينِ لا يُجْــــمَعُ

وأيْـنَ تُـســـمِّـــيـــهِ لِي ظـاهـرًا
إذا لـمْ يـكـن بـرقُـــــه يـلـمـعُ

وأيْـنَ تُـســـمِّـــيـــهِ لـي بـاطـنًا
إذَا كــــــانَ هـذَا هـو الـدُّفعُ[3]

وكُـلُّ الـعــــــوالـم طـورًا انـا
فـقـدْ جـمـعَ الـضـدُّ لِي مـجـمَعُ[4]

---

(١) القصيدة، في "ص"، ص: ٢٣١، ٢٣٤ والنص فيه كثير من الزحافات التي جعلت وزنه مضطربًا، كما في اغلب قصائده الصوفية بعامة [وفي الأصل: أيا حيرتي وما الذي..] (م).

(٢) آل: مضارعه يؤول، وقد اراد التغيير والتحول. [وقوله «بما» أي: «بماء»] (م).

(٣) اظنها «هو المدفع» (م).

(٤) الظاهر والباطن: لهما معان كثيرة عند المتصوفة مستنتجة من التاويلات التي يعطونها لهما، ومنها الثبوت بالنسبة للظاهر، والتنوع بالنسبة للباطن، فظاهر الإنسان له الثبوت، وباطنه له التنوع انظر: د.سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، ص: ٧٥١-٧٦١ .

وطوْراً لا شيءَ يُقالُ لَهُ
أنا العالم الأكبر الأجمعُ

أنادي مغيثاً فلا منجدٌ
فقيرٌ دعاه فلا يسمَعُ

فهل من دَوَاءٍ بهذا العضالِ؟
ولاَ منْ يجيرُ ولاَ يدْفَعُ[1]

وكلُّ طبيب شكوتُ لَهُ
يقول فذَا الداءُ لي المُوجِعُ

واهربُ من حيرَتِي كلَّمَا
توالتْ فكانَ لهَا المرجِعُ

فحيرتِي ما كنْتُ كائنةٌ
وحتَّى القيامةِ لا تُقْلِعُ

فاشْكُو إلى حيرتي حِيرتِي
فليْسَ إلَى غيرهَا مفزَعُ

وكمْ كائِنٍ بهذا ابْتُلِي
وكلٌ لقدْ ضمَّ ذَا المصرَعُ

فيا خيبةَ العقْلِ في حكمهِ
علَى العَيْنِ ستر فلاَ يَقْشَعُ

فاينَ الذي فوق عرشٍ عَلا
ومنْ هوَ في أسفلِ الأرض عُو[2]

ومَنْ أينمَا نَتولَّى فهُوْ
لهُ ثَمَّ وجهُ به برقُعُ[3]

(١) لعل الأصل: «فهل من دواء لهذا العضال» اي لهذا الداء العضال (م).

(٢) كان قوله «عو» أو «عُ» على طريقة الاكتفاء، اي ذكر جزء من الكلمة اكتفاءً عن سائرها. والتقدير: عُبِد، مثلاً (م).

(٣) تمثل في البيت معنى قوله تعالى: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾ البقرة: ١١٥ .

ومَنْ أينَمَا كنَّا معنَا يكنْ

ومن يتحولْ في صورٍ فاسْمعُوا

فما بين هذا وذه وتهٍ

عقول الورى اغتالها سَبُعُ

وتاهتْ في بيداء مظلِمةٍ

مجاهلُ أروَاحِهَا زَعْزَعُ

سكارَى وشتَّى مذاهبهمْ

وكلٌّ يقولُ إلَّي اهْرَعُوا

فعنْدِي النجاةُ وعنْدِي الهدَى

وعندِي السبيلُ وذَا المهْيَعُ[1]

****

(١) المهيع: الطريق الآمنة، أو السهلة.

عابد فكرة(*)

[من البسيط]

يـا مـنْ غــــدَا عـــــابداً لـفكره فــــقـفِ
فـــانتَ يَا غَـــافـــلاً علَى شــفَـــا جُـــرفِ[1]

جـــــعلـتَ عــــقْلكَ هَـادياً ونـورَ هـدًى
أضلَّك الـعـــــــقلُ أيْقِنْ انـتَ فـي تـلفِ[2]

نـحتَّ ربّاً كـــــمـــــا تـهـــــوَى وقلـتَ بِهِ
تظلُّ تعــبُـــدُ مـــا خلّقتَ في شـــغَفِ[3]

صـــــــوَّرْتَـهُ صــــــــورةً بـالـوهـم بـاطـلـةً
حكمْتَ جــوراً عليـــه جـورَ مــعـتـسِفِ[4]

حكَّمتَ عــقلك في الربِّ العظيمِ فـــمَـــا
تنـفكُّ تحكم فـــيــــه حكمَ ذِي ســــرفِ

تقـــــولُ ليسَ كــــذَا وليس هُوْ كــــذا
الحــقُّ فــي طـــرفٍ و أنــتَ فـــي طـــرفِ

قـــيَّـدتُمْ مطْلقًــا لا قـــيــدَ يحـصـــرهُ
القَـــيْـــدُ حـــدٌّ وليسَ الله كـــالهـــدَفِ

فكيفَ تنكرُ وصــفَـــهُ، حــقــيــقــتَـــهُ
نفـــيتَ مـــا أثبتَ القـــرآنُ في صُـــحفِ

(*) في بعض أبيات القصيدة اضطراب، وهي موصولة بالبحر البسيط (م).

(١) القصيدة في " ص "، ص: ٢٤٣، ٢٤٤، وهي كـاغلب قصائده في « المواقف » حيث تميزت باضطرابات عروضية تجاوزت في بعض الأحيان حتى ما أتاحه العروضيون للشعراء وعدوه شاذاً.

(٢) في كل شعره الصوفي ينتصر للقلب على العقل لإيمانه أن المعرفة عن طريق القلب أوسع منها عن طريق العقل، وهو توجه الصوفية بعامة.

(٣) في الأصل، وفي طبعة صيام: «ربّما» وأظنها مصحفة عن «ربّاً» كما يدل السياق (م).

(٤) العسف: الظلم والجور، و تحميل الشيء ما لا يطاق.

لولا توهُّمُ أن النقصَ يلحقُهُ
لما نفيْتَ فإن النفْيَ بعدُ يَفِي

الحقُّ في مشرقٍ والعقلُ في مغربٍ
شتَّان ما بين ذَا وذا فلا تَخفِ

عليكَ بالشرعِ فالْزم طريقَتَهُ
فحيثُما سارَ سِرْ وإنْ يقفْ فقِفِ[1]

إن قال ليسَ كمثلِي شيءٌ قلْ هُوَ ذا
او قال لِي أعينٌ فقلْ بذا كَلَفِي

شبهه تره في التشبيهِ حتَّى ترى
منزَّهاً أخَا تشبيهٍ بِلاَ جَنَفِ[2]

لا شَكَّ انكَ يومَ الحشر تنكرهُ
إذا تجلَّى لجمع الخلْفِ والسلفِ

وتستعيذُ عياذًا منه جهلاً فَيَا
خسارةَ العقل يَا ويلاهُ منْ صَدفِ

عندِي منَ العلم لبُّه وجوهرهُ
والناس اعينهمْ ترنو إلى الصَّدَفِ

قد قيَّدتهمْ عوائدُ وثبّطهمْ
تقليدُ من يمشي نحو الظلمةِ السدفِ[3]

فلو وجدتُ له أهلاً لبحتُ بهِ
مستخرجاً كنزَه المحفوفِ بالطُّرَفِ

لكنَّ أهْله قد مضوا فلا طالبٌ
تلقاه يسمُو إلى العليَاء والشرفِ[4]

****

(١) ينضبط الوزن لوقُرئت: «فالْزَمَنْ» والتوكيد اسلوب محبّب إلى الأمير (م).

(٢) البيت غير موجود في "ص"، وغير مستقيم في وزنه ايضا.

(٣) السدف: الظلام الحالك.

(٤) في الأصل وطبعة د.صيام «العليا» وبرسم «العلياء» يصح الوزن (م).

لو حضرت

[...............]

ياصَاحِ إنك لو حضرتَ سماءنا
وقتَ انشقاقها حين لاتتماسكُ[1]
وشهدتَ أرضاً زلزلَتْ زلزالهَا
ألقَتْ ما فيها والجبالُ دكَادِكُ[2]
ونظرتَ أرضاً بدِّلتْ وسماءنَا
وبرْزَخنَا حَلَلْنَا وكلُّ هالكُ[3]
وشهدتَ صعقتنَا والإله قائلُ
الملكُ لي اليومَ مالي مشاركُ[4]
ثمَّ الأناقةُ والمهيمنُ يُلقِي مِنْ
آياته ويقولُ أنتَ مباركُ
لشهدتَ شيئاً لا يطاقُ شهودهُ
وسمعت مالاً منه يدرِكُ دَارِكُ
وعلمتَ أن القومَ ماتوا حقيقةً
فلذا أباحَ لهمْ حِماهُ المالكُ

****

(١) المقطوعة في "ص"، ص: ٢٤٧ وهي ككل أشعار «المواقف» مضطربة الوزن.

(٢) فيه معاني سورة الزلزلة ، و: دكادك: متساقطة، مهدمة.

(٣) البرزخ: الحاجز بين الشيئين أو ربما أراد ما بين الشك واليقين.

(٤) من قوله تعالى: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ غافر ١٦ .

يا عظيماً تجلى

[من مجزوء الرمل]

يا عظيـــمـــاً قـــدْ تجلـّى
كلُّ مـــجْلى لـهُ مَـــجلَى[1]

أَنـتَ مـــبـــدِي كـلُّ بـادِ
أَنْـــتَ أَبْـــدَى انـــت أجْـــلَـــى

كـــلُّ مـــنْ فـــي الـــكـــون أنـــتـــمْ
انـت مـــولَـى كـلُّ مـــولَـى

حـــسنُكَ الـبـــارِي تـعـــالَى
أَنْ نـرى عـنـده مـــثْـــلا

كلُّ حـــسنٍ مـــســتـــعـــارٌ
مـن جـــمـــالٍ قـــد تـدلَّـى

أيُّ حـــسنٍ أيُّ حـــســـنٍ
غـــيـــر حـــسن قـــد تـعلَّـى

كـنـتُ قـــبل الـيـــوم صـــبّـــاً
اســـال المحـــبـــوبَ مـــيْـــلا[2]

فـــأزالَ الـســـتـــرَ عنـي
فـــبـــدَا لـيِ الـفـــصلُ وصـــلا

زادنـي الـقـــربُ احـــتـــراقـــاً
فـــأنَـا بـالـوصـلِ أصْـلَـى

عـــجـــبِي من عـــشْق نـفـــسِي
مـــا احْـــبَـــبـتُ غـــيـــري أصْـــلا

---

(١) القصيدة في ص"، ص: ٢٧٠، ٢٧١.

(٢) الصب: العاشق الولهان المحروم.

ليسَ تشبيبي وغزْلِي
وغرامِي إلاَّ إلاَّ[1]

أنا سُعدى أنا سلْمَى
أنَا هِندٌ أنَا ليلَى

أنَا بدْرٌ أنا شمْسٌ
أنَا صبحٌ قدْ تجلَّى

أنَا نورٌ أنا نارٌ
أنا برقٌ ضَاءَ ليلا

أنَا كاسٌ أنا خمْرٌ
أنَا أسقَى أنَا أمْلَى

كتبَ العشقُ زبُورًا
في فؤادي فهو يُتْلَى[2]

كلُّ يوم كلُّ حين
كلُّ آن فهْوَ يُملَى

ما نسيتُ الدهر وقْتاً
قدْ تقضَّى بالمصَلَّى

بين انسٍ لِمهاة
وغزالٍ قد تحلَّى[3]

وحسناتٍ غانياتٍ
كحيلات ولا كُحْلا[4]

---

(١) البيت والبيتان بعدهما غير مثبتة في "ص".
(٢) البيت غير موجود في "ص".
(٣) البيت والبيتان بعده غير واردة في "ص".
(٤) كذا في الأصل، وأظن الشطر الأول: «وحسانٍ غانياتٍ» وبذلك يصح المعنى والوزن معاً (م).

وأُسودٍ ضارياتٍ

تصرعُ الأبطالَ قتلا

كل نُعماكمْ لذيذٌ

ونعيمُ الوصلِ احلَى

كل بلوايَ حقيرٌ

حيثُ كنتمْ بِيَ أَوْلَى

****

من أكون؟

[............]

أيَا أنا من أكونُ إن لم اكن أَنْتَ

ويا أنْتَ من تكونُ إن لم تكنْ أنَا[1]

ما بالكم قلتمْ إله وأعبدُ

فكثرتمُ لذاكَ طاشتْ عقولُنا

إذَا رُفعت من بيننَا العين والألفُ

فقدْ رُفعَ الستْرُ المفرقُ بيننَا

وذلك حينَ لا أنا لكَ عابدُ

ولا أنتَ معبودُ فزالَ حجابنَا

****

(١) الأبيات في "ص"، ص: ٣٠١ وقد أرجعها «صيام» إلى البحر الطويل، ولست ادري كيف وصل بها إلى هذا التحديد غير الدقيق تماماً.

يقـولـــون

[من الطويل]

يقـــولونَ لا تـنظرْ ســـعـــادَ ولا علـوا
وعـــدِّ من الآثارِ واقـــصـــدْ لمن تـهـــوَى[1]

فـــإنك مـكـلـومُ الـفـــؤاد مـــتـــيّمٌ
أخـــو جُنـةٍ بـل مـنـهَـــا داؤُك ذا أَدْوى

وقـــدْ ملكَ الليل البـــهـــيم تحـــرُّقـــاً
كـــأنكَ ملســـوعٌ وحـــالُك ذي أسْـــوَا

فـــقلتُ أراني مـــا أرَى غـــيـــرَ من سَـــبَـــا
فـــؤادي ومنْ قـــد ضـــاعفَ الضـــرَّ والبلْوَى

نظرتُ إليـــهِ والمليـــحـــةُ تحْـــســـبَنْ
نظرتُ إلـيـــهـــا لاَ ومـــبـــسَـــمـــه الأضْـــوَا

ولكنْ جـــمـــال من أحبُّ تَـبـــدَّى لِي
فـــهَـــا أنا ذا أبْدِي إليـــه بهِ الـشَّكْوَى

يكلِّـمنِـي بـالرمْـــزِ من خلْفِ ســـاترٍ
ومـــا كلُّ مـــا أملتْ عـــيـــونُ الظِّبَـــا يُرْوَى

فـــلا مـــتكلمٌ ســـواه مـــخـــاطبٌ
ولا سَـــامِعٍ إلاهُ للســـرِّ والنَّجْـــوَى

أخـــاطبنِي إيَّايَ فـــيـــهِ تحـــقـــقـــاً
فـــاسْـــمـــعنِي إيَّايَ فيَّ ولا غـــرْوَا

---

(1) القصيدة في "ص"، ص: ٣١٩ - ٣٢٠ سعاد وعلوا عروستان من عرائس الشعر العربي بعامة والصوفي منه بخاصة، وهما من رموز العفة والنقاء.

فــيــا ويحَ مــا أعلَّل النفْسَ في الهَــوَى

ولا أرتجِي وصْـــــــلاً ولاَ أرتجـي سـلْـوَى

فــــقلْ لـلذِي مــــا ذاق طعمَ شـــــرابـنَا

ولا خــاضَ بـحــرنَـا حــقــيــقــاً ولا دَعْــوَى

إلـيكَ، تَـنَـحٌ إننـا خـــــضنَـا ابْـحـــــراً

وتـلـكَ الـبـــحـــــارُ بـعـــدنَـا تُـركتْ رَهْوَا[1]

****

(١) تنحا: كان ينبغي أن تكون مجزومة، والرهو: الهدوء والسكون.

ب - قصيدتا المذكرات

وصف رحلته إلى بو(*)

[من الوافر]

إذا مَــــا سلْتَ عنْ خَـيْـــر وخُــبْــري
فــإني لنعــمــةِ الإلهِ شـاكــرْ[1]
وقـــدْ وافـــيتُ عــزًا في فـــرنْسَـــا
ولـيـنًا في الأصــاغــرِ والأكـــابرْ
وعطْفًـــا وانحـنـاءً وارتحـــامـــاً
يقـــوِّي مـــا رجـــوْنَا من الأكـــاسِـــرْ
فــتـــرتَجي لذاكَ ســراحَ سِـــتْـــرِ
إلى بطحـــاءَ منْسَكُهَـــا المشـــاعِـــرْ
وتُكْمِل كَلْمــةُ الجـــمـــهـــور عنًا
قـــصـــدناهـمْ بـأبحـــرٍ زواخِـــرْ
بشـــهـــرِ مـــحـــرَّمٍ جـــئنـا وفـــودًا
لبـــابُورٍ يجـــرُّ الماءَ مـــاخِـــرْ
مكثْنا اشـــهـــرًا خـــمْـــسًـــا بِبَـــرٍّ
ينيلُ الضـــيفَ جـــوداً بـالأزاهِرْ
ومنْ أَطْلُونَ سِـــرْنـا في قـــبـــابِ
ثمـــانٍ مـــثل ابعـــاد الجـــواهِرْ[2]
إلـــى فـلَـكٍ عـلـــى مـــــاءٍ ونـارِ
وجــمـعُ الضـــدِّ يبـــهتُ النواظرْ

(*) القصيدة مضطربة الوزن فبدت الزحافات فيها كثيرة، وتجاوز المباح عروضياً ايضاً وقد عدها مصدرو المذكرات على انها قيلت عن مدينة طولون، ومضمونها كما تجلى غير ذلك.

(١) لعل النص «إذا ما سلت عن خَبري وخُبري» وقول الشاعر «سلت» أي : سألت (م).

(٢) طلون: مدينة فرنسية.

سـرينـا لـيلـةً والـيـومَ كـلاً
لِسِـيتَ ومـا بـهـا سـوءُ لمـاكِـرْ[1]

فـسـنـهـا مَنْ وسَـى وَمَـنْ تـأسَّـى
وقـاءٌ لـلـمـخـاطـبِ والمخَـابِرْ[2]

ومـنـهَـا ركـبْـنـا واديـاً زلاَلاً
وفـي أسطـولـهِ عـجـبُ الـشـواطِـرْ[3]

كـأنَّ الـشـمسَ حـلَّتْ بـرْجَ حـمْلٍ
ومـطـلـعُ بُـرجِـهـا بـيـنَ الـقـنَـاطِـرْ

وفـاقَ بـهـاؤُهـا بـنـسـجٍ وصُـنْـعٍ
مـدارجَ هـيـكـلٍ تُـسْـلِـي الـخـوَاطِـرْ[4]

ومـن بـعـدِ الـزوالِ لـهَـا ارتـحـالُ
لـقـصـطلَ نـوضـري والـعـذبُ حَـادِرْ[5]

فـأرسَـيـنـاهُ فـي نَـزْلٍ رفـيـعٍ
وقـدْ حـمـدنـا نـزولَ المصـادِرْ

لـهُ تَـلْـوٌ تـبـاعٌ لـلـمـزَايَـا
سـجـايَـا أهـلِـهـا زيـنُ الـنـوادِرْ

وبـعـدَ المـغْـشِ وارتـيـاحٍ بـسْـطٍ
ركـبْـنَـا فـي الـقـبـابِ لـهـا دوائِـرْ

مـجـاوزيـن قـصـنـر آشٍ وطـاربْ
فـأحْـدق أهـلِـهـا فـي زيٍّ نـاظِـرْ[6]

---

(١) لسيت: مدينة (Sète) تقع غرب مرسيليا، توقف فيها الأمير، وهو متوجه من طولون إلى بو.

(٢) يريد حذاقة قائد الباخرة، ومهارته في اختيار الطريق.

(٣) ربما «قد ركبنا» لاستقامة الوزن.

(٤) لعل «نسجا وصنعا» حتى يستقيم الوزن.

(٥) قصطل: مدينة (Castelsarasiv) تقع على ضفة القنال المحاذى لنهر القرون بفرنسا. البيت مضطرب عروضياً.

(٦) آش (Auch) مدينة على نهر الجير تقع جنوب غرب باريس، وتبعد عنها بحوالي (٦٨٠) كلم. والبيت مكسور عروضياً، (Tarbees) أيضاً مدينة تقع في الاتجاه نفسه من باريس، وتبعد عنها بـ (٧٧١) كلم.

مـحـبـة بـأضـواءٍ تدانَوْا
بـشـغْـلِ الـنـار مـنـتـظـرٌ ونـاظِـرْ
وكلُّهمُ علـى الإشـفـاقِ لـبُّـوا
وأعـلـنَ بـالـتـوددِ لا مـكـابِـرْ[1]
حـطـطْـنـا الـرَّحْـلَ فـي وادٍ عـظـيـمٍ
بـحـافـتَـيْـه رِياضٌ زواهِـرْ
بقـصـرٍ مُـشْـرف النزهَاتِ يصـبُـو
إلى مـصْـبـاهُ "بُو" للبـوءِ ظَافِـرْ[2]
ولاحَ لـنـا بـه كـتـابُ سـهْـلٍ
من الجـمـهـورِ مـتَّـضَح البـشـائِرْ
ويرمُـزُ بالـصـراحـةِ لاقـتـرابٍ
من الـتـسـريـح والإلـه قـادِرْ
فكمْ أَبدتْ لـنـا من حـسْنِ جـودٍ
مـديـنـةُ "بُو" ونـعـمَ مَـا تـظـاهِـرْ

****

(١) لعله أراد بـ «لبو» فهو بو (Pau)

(٢) أراد نزوله بمدينة بو (Pau) التي تبعد بـ (٧١٥) كلم عن باريس، وتقع جنوب غربها، وفيها اعتقل الأمير عبدالقادر بعد تولون.

في مدينة طولون

[من البسيط]

أطلونُ أغْـمَـرتنا بالبـسط والنعمِ
أنلْتِنا كـرمـاً بالـفـضلِ منفـعمِ[1]

اطلون طَلَّتْ رفـيـعـاً شـدَّت في غـرفٍ
تـعلُو عـلى غـرف بالموجِ ملـتطِمِ[2]

اطلونُ قـد عَلَت الجـبـالَ مَنزلةً
يَا حـبـذا الرُّفعُ مـثْـوى كل منتـعِمِ

سـهلتِ سـهـلاً فـجـرتِ أهلاً في سـمـةٍ
باوجـهِ لحـسـانِ الوجـه في شـيمِ[3]

لهـا السـمـاحـةُ إذْ قـد زانهـا حـوَرٌ
ممشَى جـداءٍ بحـضـر صـفـرة النِّعمِ

تُلهِي بانعـامـهـا تسْبِي باجـراسـهـا
تُبـدي مـصـانعـهـا برونقِ الهـمَمِ

خـزانة الملْكِ جـدًا في بنَادقـهـا
وفي فنادِقـهـا مـا شـئتَ منْ زِيمِ[4]

مـدافعٌ كـورها تسطُو بمجـتـرئٍ
مكاحلٌ زنْدُها بالنار مـتَّـسـمِ[5]

(١) اطلون هكذا وردت في النص، والصحيح «طلون» ، وهو ما يستقيم معها الوزن ايضا، وهي تقع جنوب شرق باريس وتبعد عنها بـ ٨٤٠ كلم ، وجه إليها الأمير عندما ود الانتقال من وهران إلى المشرق.

(٢) لعل شد في غرف لاستقامة الوزن.

(٣) الشطر الأول غير مستقيم الوزن.

(٤) الزيم: القطع، والتفرق، أو المكتنز، وربما اراد ما ترغب فيه، وتريده، وتشتهيه.

(٥) مكاحل جمع مكحلة: البندقية (شائعة في الجزائر ومناطق اخرى في المغرب العربي) (م).

كـــوابسٌ ونبـــالٌ والســـيـــوفُ لـهَـــا
حـــــدُّ السنـانِ ترى كـــالأنْجـم الـرُّسمِ[1]

تماثلُ الإنـس كـــالـحـــرّاسِ قـــائمـــةُ
من ســابغِ الذيل او في الحــرْبِ ملتــثِمِ[2]

وآلـةُ الـصـنـع كـــالدولابِ تُـحْـــرِكُـــةُ
مـن صــــاعــــدٍ هابطٍ للاضـطراب نَـمِ[3]

كلُّ الأفــانـينِ مـــا الأشــجــارُ صُـــورتُهـــا
مـن الســـــلاح لذكْـــــرِ الـنـخـلِ والـكـرَمِ

والـرمـــزُ منهـــا يقـــولُ هي منتـــجـــةٌ
لنيلِ جــــمع ثـمــــار الـهـــضْبِ والأكَمِ[4]

فـــهْي الـوســـيلةُ للمـــقـــصـــود من مَلِكٍ
قـــد عـــشقَ اللهـــوَ ببـــاريزَ من خـــدَمِ[5]

تفـــــاخـــــرُ لعبُ الدنيـــا بزينـتِـــهـــا
تـكـاثـرُ المال والأولادُ فـــــاكـــــتَـــــتِـمِ[6]

أبـوابُ سلـطنـةِ القـــــديمِ نـامــــيـــــةٌ
لـدى الجـــــديد بمـا يريـد من عـــــمـمِ

تـرنَّـقـتْ بـفـــــــؤاد الـنـائِي مملـكـةٌ
حـــوت فـــرنْسَـــا بهـــا مـــدائنَ النعَمِ[7]

---

(١) كوابس: مسدسات (عامية).

(٢) في الأصل: تماثيل، وهو ما لا يستقيم عروضيا.

(٣) للاضطراب نم: صافي.

(٤) الأكم: التلال.

(٥) البيت عدل بحسب ما ذكر مثبتو النص، ولم يوردوا البيت الأصلي في المتن، أو الهامش.

(٦) في الأصل: ولا أولاد، وهو مالا يستقيم معه الوزن.

(٧) النائي: كذا في الأصل، وهو ما يجعل الوزن مضطربا، ويصير سليما بالناء دون الياء.

مـــراكبُ الفلْكِ في البـــحـــار مـــاخـــرةٌ

مـــــا بـينَ رائـحَ أو غـــــادرٍ مـعَ الأضَـمِ[1]

لاحتْ قـــلائـعُـــهـــا نـارتْ عـــلائـقُـــهـــا

ضـــاءت مـــشـَــارقُـــهـــا بـالجـــوِّ والعلَـمِ

فـــالجـــسمُ مَـــا السَّـــاج والأرواح مـــوقـــدهَا

دخـــانُهـــا الســـرجُ والمهـــمـــازُ في كـــتـمِ[2]

نـعـمْ ومـــــرْكـــــوبُـهـــــا يمٌّ مــــيـــــادِنهُ

للســـبقِ لاَ مِـــثْـلـهَـــا في طيـــر أو دُهُـمِ[3]

تَمّتْ مـــحـــاسنُهـــا نَمّتْ احـــاسِنُهـــا

لـوْ أنّهـــا أحـــسـنتْ إلى الـسُّـــر احـــرُمِ؟

فـــتكْمِـل الكَرَمَ المســـدولَ منهـــا على

ضـــيفٍ أتى عـــانيًـــا يبـــغِي الجـــواءَ ســـمِي

****

(١) عد محققو النص الشطر الثاني مختل الوزن، وهو كذلك لكن بمنع رائح من الصرف كما اثبتنا يصير الوزن مستقيماً، والأضم: المجتمع.

(٢) ما الساج: أراد من الساج اي أن هيكل السفينة مصنوع من الساج، والمهماز: ما يهمز به، حديدة في مؤخر خف الرائض، وفيكتم، كذا في الأصل، والأصح: في كتم ليستقيم الوزن.

(٣) الدهم جمع الأدهم، وهو من الخيل والإبل الشديد السُمْرة، ومعاني الدهمة في اللغة اكثر ما تدور على السّواد وما يقاربه (م).

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

١ ـ عبد القادر (الأمير) الجزائري، المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، ط٢، منقحة ، دمشق، سورية ١٩٦٧ .

٢ ـ مذكرات، تحقيق: د/محمد الصغير بناني، د/محفوظ سماتي، د/محمد الصالح الجون، دار الأمة، ط٢، الجزائر ١٩٩٨ .

٣ ـ د. زكريا صيام، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، تحقيق وشرح وتعليق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٨ .

٤ ـ محمد (باشا) ابن الأمير عبد القادر، نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر، مطبعة المعارف، مصر، بلا تاريخ.

٥ ـ تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق الدكتور ممدوح حقي، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة، الطبعة الثانية منقحة ومزيدة، بيروت، لبنان، ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤م.

٦ ـ د. ممدوح، حقي، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، شرح وتحقيق، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، ط٢، مزيدة ومنقحة، بيروت، ١٩٦٤م.

٧ ـ د. محمد ناصر، منتخبات من شعر الأمير عبد القادر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤ .

****

فهرس الأعلام

****

فهرس الأماكن

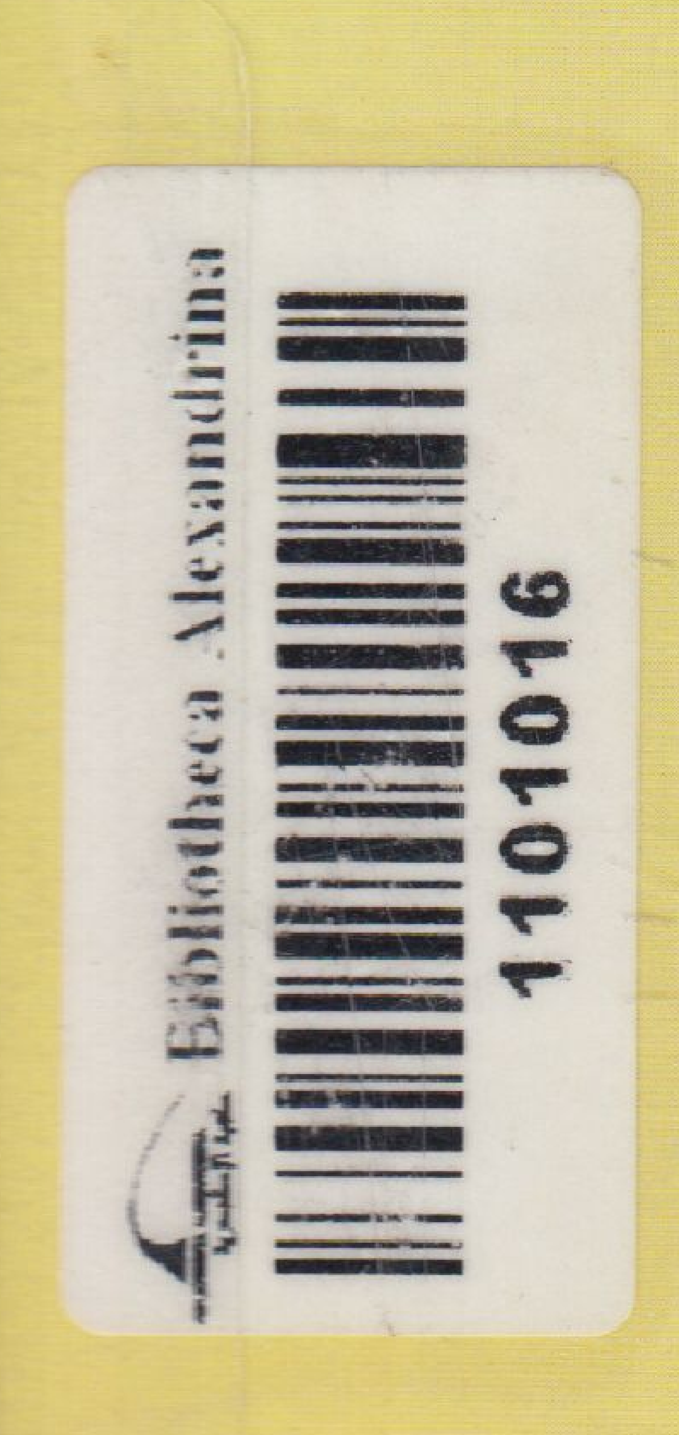
****

فهرس مطالع القصائد وقوافيها وبحورها

****

الفهرس

****





مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

الكويت

2000

طباعة مطابع الملك - الكويت
هاتف: ٤٧١٧٧٦٨/٩ - فاكس: ٤٧١٧٦٩٨